سورة آل عمران

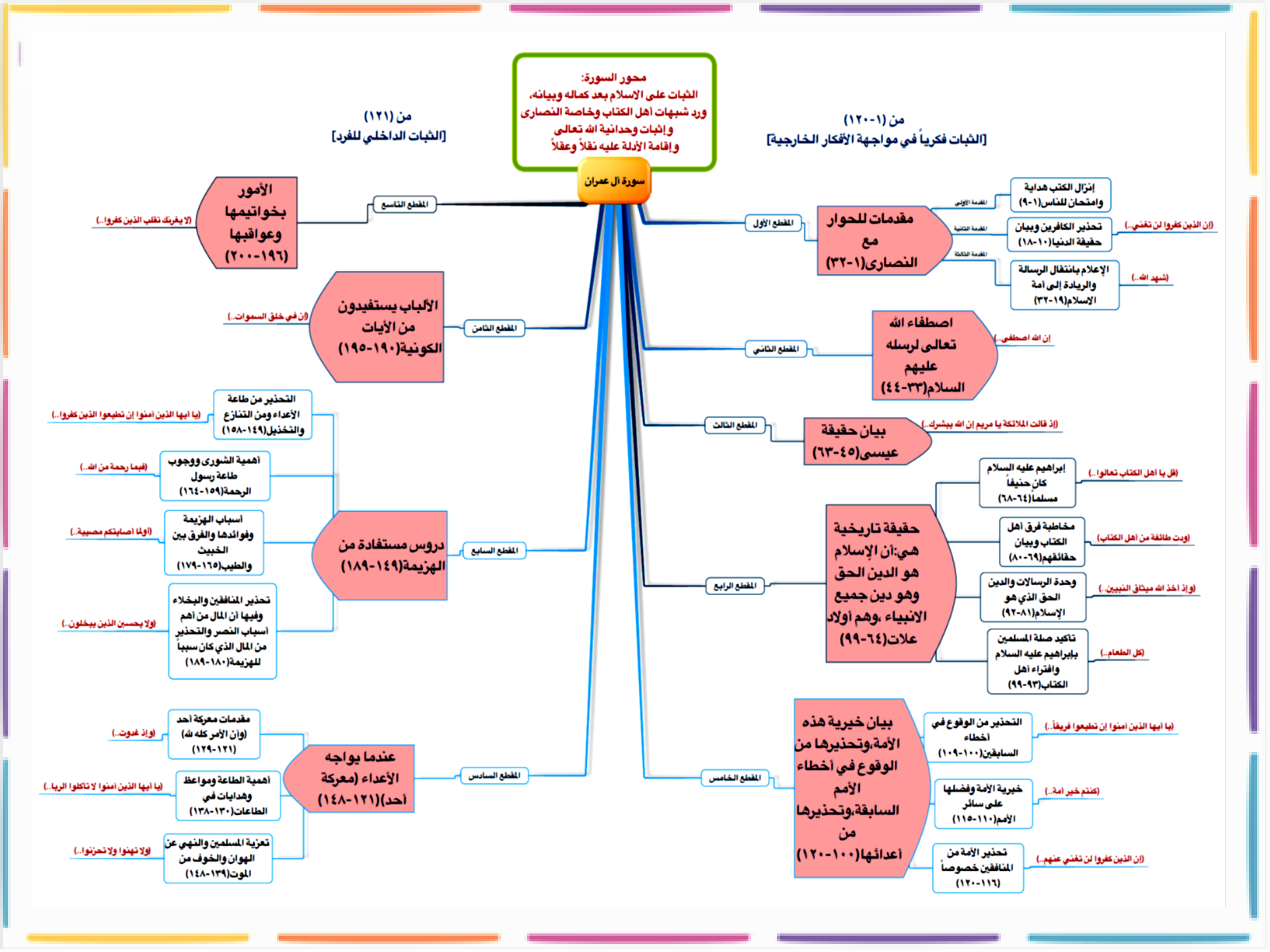
(الثبات على دين الله)

وإِثبات وَحْدانيّةِ الله، وإِقامة الأدلَّة والحُجَجِ عليها

و تقرير كَون عيسى عليه السلام عبد الله



برنامج(قرآنا عجبًا)
لتدبر وحفظ كتاب اللّه


محور السورة:
الثبات على الإسلام بعد كماله وبيانه،
ورد شبهات أهل الكتاب وخاصة النصارى
وإثبات وحدانية الله تعالى
وإقامة الأدلة عليه نقلاً وعقلاً
سورة آل عمران
من (١-١٢٠)
[الثبات فكرياً في مواجهة الأفكار الخارجية]
من (١٢١)
[الثبات الداخلي للفرد]
المقطع الأول
مقدمات للحوار مع النصارى(١-٣٢)
إنزال الكتب هداية وامتحان للناس(١-٩)
تحذير الكافرين وبيان حقيقة الدنيا(١٠-١٨)
(إن الذين كفروا لن تغني..)
الإعلام بانتقال الرسالة والريادة إلى أمة الاسلام(١٩-٣٢)
(شهد الله..)
المقطع الثاني
اصطفاء الله تعالى لرسله عليهم السلام(٣٣-٤٤)
(إن الله اصطفى..)
المقطع الثالث
بيان حقيقة عيسى(٤٥-٦٣)
(إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك..)
المقطع الرابع
حقيقة تاريخية هي:أن الإسلام هو الدين الحق وهو دين جميع الانبياء ،وهم أولاد علات(٦٤-٩٩)
إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلما(٦٤-٦٨)
(قل يا أهل الكتاب تعالوا..)
مخاطبة فرق أهل الكتاب وبيان حقائقهم(٦٩-٨٠)
(ودت طائفة من أهل الكتاب)
وحدة الرسالات والدين الحق الذي هو الإسلام(٨١-٩٢)
(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين..)
تأكيد صلة المسلمين بإبراهيم عليه السلام وافتراء أهل الكتاب(٩٣-٩٩)
(كل الطعام..)
المقطع الخامس
بيان خيرية هذه الأمة،وتحذيرها من الوقوع في أخطاء الأمم السابقة،وتحذيرها من أعدائها(١٠٠-١٢٠)
التحذير من الوقوع في أخطاء السابقين(١٠٠-١٠٩)
(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً..)
خيرية الأمة وفضلها على سائر الأمم(١١٠-١١٥)
(كنتم خير أمة)
تحذير الأمة من المنافقين خصوصاً(١١٦-١٢٠)
(إن الذين كفروا لن تغني عنهم..)
المقطع التاسع
الأمور بخواتيمها وعواقبها (١٩٦-٢٠٠)
(لا يغرنك تقلب الذين كفروا..)
المقطع الثامن
الألباب يستفيدون من الآيات الكونية(١٩٠-١٩٥)
(إن في خلق السموات..)
المقطع السابع
دروس مستفادة من الهزيمة(١٤٩-١٨٩)
التحذير من طاعة الأعداء ومن التنازع والتخذيل(١٤٩-١٥٨)
(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا..)
أهمية الشورى ووجوب طاعة رسول الرحمة(١٥٩-١٦٤)
(فبما رحمة من الله..)
أسباب الهزيمة وفوائدها والفرق بين الخبيث والطيب(١٦٥-١٧٩)
(أولما أصابتكم مصيبة..)
تحذير المنافقين والبخلاء وفيها أن المال من أهم أسباب النصر والتحذير من المال الذي كان سببا للهزيمة(١٨٠-١٨٩)
(ولا يحسبن الذين يبخلون..)
المقطع السادس
عندما يواجه الأعداء (معركة أحد)(١٢١-١٤٨)
مقدمات معركة أحد (وأن الأمر كله لله)(١٢١-١٢٩)
(وإذ غدوت..)
أهمية الطاعة ومواعظ وهدايات في الطاعات(١٣٠-١٣٨)
(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا..)
تعزية المسلمين والنهي عن الهوان والخوف من الموت(١٣٩-١٤٨)
(ولا تهنوا ولا تحزنوا..)



سبب تسمية السورة ب(آل عمران)

لأن فيها ذكر قصة آل عمران من بدايتها، حيث جاء فيها قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) [آل عمران: 33] ، وجاء فيها بعد ذلك: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [آل عمران: 35]، ولم يرد مثل هذا في غير هذه السورة، فلفظ (عِمْرَان) الذي في سورة التحريم يتحدث عن مريم عليها السلام (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) [التحريم: 12]. الجدير بالذكر أن هذه السورة هي الوحيدة التي فيها قصة أم مريم، فقصتها ليست مذكورة حتى في سورة مريم عليهم السلام.

يضاف إلى ذلك أن هذا الاسم (آل عمران) فيه إشارة عظيمة في الرد على النصارى الذين ألهوا عيسى عليه السلام، فهو يشير إلى أصل عيسى عليه السلام البشري، فهو من (آل عمران)

ولأن هذا البيت المبارك، كان رمزاً للثبات والصلاح وخدمة الدين.



محور سورة آل عمران

الثبات على دين اللّه.

إثباتُ وَحْدانيَّةِ اللّه, وإقامة الأدلَّة والحُجَجِ عليها و تقرير كون عيسى عليه السلام عبد اللّه



مِن أهمِّ المقاصد الَّتي تضمَّنَتْها سورةُ آل عِمْرانَ:

1- إثباتُ وَحْدانيَّةِ اللّه, وإقامة الأدلَّة والحُجَجِ عليها.

2- بيانُ أهميَّةِ عقيدةِ الولاءِ والبَرَاء، والتَّحذيرُ من ولايةِ غيرِ المؤمنين، وتفصيلُ أحوالِ أهل الكتاب.

3- الاهتمامُ بجوانب التَّربيَةِ والإرشادِ والتَّوجيهِ للمؤمنين.

المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها

مقاطع السورة تتناسب مع محورها بوضوح تام، لأن محور السورة العام هو: إثبات وحدانية الله تعالى، وما يتعلق بذلك من تقرير بشرية عيسى عليه السلام، ووحدة الدين والرسالات، وأهمية طاعة الله تعالى ورسوله تقلة.
فبدأت السورة بمقدمات مهمة قبل الحوار مع النصارى في حقيقة عيسى عليه السلام، تناولت تلك المقدمات إنزال الكتب من عند الله تعالى لغرض هداية وامتحان الناس، وبيان حقيقة الدنيا، ثم الإعلام بانتقال الرسالة إلى أمة الإسلام.
ثم تناولت السورة بيان اصطفاء الله تعالى لرسله عليهم السلام، وبيان حقيقة عيسى عليه السلام. ثم تأكيد حقيقة تاريخية هي أن الإسلام هو الدين الحق وهو دين جميع الأنبياء، وهم أولاد علات، واشتمل ذلك على بيان أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً، وبيان فرق أهل الكتاب وحقيقتهم، والتصريح بوحدة الرسالات والدين الحق الذي هو الإسلام، وتأكيد صلة المسلمين بإبراهيم . عليه السلام، و افتراء أهل الكتاب في ادّعائهم الصلة به.
وبعد هذا التصريح والتأكيد، جاء بيان خيرية هذه الأمة واصطفاؤها وفضلها على سائر الأمم، وتحذيرها من الوقوع في أخطاء الأمم السابقة، وتحذيرها من أعدائها ومن المنافقين خصوصاً. وكان هذا التحذير مدخلاً للحديث عن المواجهة مع الأعداء، فتحدّثت الآيات عن معركة أحد، وشمل ذلك هدايات ومواعظ في الطاعة وأهميتها، وتعزية المسلمين في مصابهم،
والدروس المستفادة من الهزيمة.
وختمت السورة بالحديث عن الاستفادة من الآيات الكونية في الوصول إلى الله تعالى،
وبيان حقيقة أن الأمور بخواتيمها وعواقبها.

لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ

أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)

سنة الابتلاء في النفس والمال

فاعرف حقيقة الموت وأنفق في سبيل اللّه



وفي السورة ذكرحقيقة الموت، وهذاله علاقة بالمحور الرئيس في السورة الكريمة، لأن أول صفة ذكرت له تعالى في هذه السورة هي (الحي) ، ولهذه الصفة علاقة مباشرة بالحوار مع النصارى، فعيسى عليه السلام بشريموت كما يموت البشروكما مات من سبقه ولحقه من الرسل، وقد جاء في هذه السورة النص على وفاة عيسى عليه السلام:

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

1-وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

2- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾

3-هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

4-﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

5-يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

6-الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

7-كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

فقد كتب الله الموت على الخلق أجمعين، كما قدر ساعته وكيفيته ومكانه، والأرض التي سيموت فيها الإنسان، ليعلم الناس هذه الحقيقة، فلا يهابون المعارك مظنة أنهم سيلقون حتفهم فيها، فيَجبُنون عن لقاء الأعداء, إذن الحديث عن الموت له علاقة بشبهاتهم وغزوة أحد(محوري السورة)



الإنفاق

تناولت السورة المال ودوره الهام والنهي عن الربا

1-من حيث الإنفاق , والحث عليه والإنفاق في جميع الأحوال قال تعالى: الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

2-أن المال لا يغني من الله شيئا: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

3- الدعوة إلى الإنفاق من أجود ما يجد قال تعالى :لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

4-كما تناولت بيان أن المال لا يغني من الله شيئاً :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

5- والنهي عن الربا :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

وبيان تعلق الناس بالأموال المنقولة وغير المنقولة من متاع الحياة الدنيا, وحثهم على التعلق بما هو خير من ذلك وذم البخل والشح , وأمر المسلمين بالصبر على الأذى الذي سيلاقونه في أموالهم و أنفسهم من أهل الكتاب



وقد ركزت السورة على مسألة التوحيد وما يتعلق بذلك من صفات الله تعالى،

بل إن سورة آل عمران هي السورة الوحيدة التي فصل فيها بين الأحرف المقطعة والحديث عن القرآن الكريم، فقد فصل بينهما بالتأكيد على وحدانية الله تعالى وأنه حي قيوم، قال تعالى: (اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ). بينما في باقي سور المصحف الشريف التي افتتحت بالحروف المقطعة يأتي الحديث عن القرآن الكريم مباشرة بعد الأحرف المقطعة.

فقد ذكرت شهادة توحيد الله تعالى في هذه السورة صراحة خمس مرات،

وذلك في قوله تعالى: (اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [آية: 2]،

وقوله: (لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آية: 6]،

وقوله: (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آية: 18]،

وقوله: (وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آية: 62]،

وهذا الحشد لشهادة التوحيد هو الأكثر تكراراً في القرآن الكريم، كما أن شهادة التوحيد لم تتكرر مرتين في آية واحدة في القرآن الكريم سوى في سورة آل عمران في آية الشهادة المذكورة سابقاً.

كما ذكر في سورة آل عمران الأمر بعبادة الله وأكد بعدم الإشراك به وعدم اتخاذ البشر آلهة:

قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ) [آية: 64]،

وامتازت السورة عن غيرها بهذا، حيث إن الآيات الأخرى التي دعت إلى عبادة الله تعالى وحده في القرآن الكريم ليس فيها تأكيده بعدم الإشراك به سبحانه وتعالى.

وتكرر في السورة إطلاق المشيئة والإرادة لله تعالى وإسناد الأمور له وحده سبحانه، وذلك بشكل لافت، كما سيأتي ذكره لاحقاً.



كما تكرر في السورة أيضاً لفظ الإسلام والمسلمين والفعل (أَسْلَمَ)، أكثر من أي سورة أخرى في القرآن الكريم؛ ففيها:

- (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) [آية: 19]،
- (فَإنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ) [آية: 20]،
- وفيها على لسان الحواريين: (آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آية: 52]،
- وعلى سبيل الأمر للمسلمين بقوله في حوارهم مع أهل الكتاب: (فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آية: 64]،
- وقوله: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً) [آية: 67]،
- وفيها أيضاً: (أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) [آية: 80]،
- (أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) [آية: 83]،
- وعلى سبيل الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [آية: 84]،
- وفي قوله: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) [آية: 85]،
- وعلى سبيل الأمر للمسلمين: (وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [آية: 102].
- كما أن الفعل المشتق من الإسلام لم يتكرر ثلاث مرات في آية واحدة في القرآن الكريم سوى في قوله تعالى في سورة آل عمران: (فَإنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ) [آية: 20]، والله أعلم.



وذكر في السورة أيضاً: إثبات العلم المطلق للّه تعالى

(وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) [آية: 66]،

وتصرفه في الكون بمشيئته (قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {73} يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [الآيتان: 73-74]،

وتنزيه الأنبياء عن الدعوة إلى الشرك كما يزعم النصارى (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ {79} وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً) [الآيتان: 79-80].

كما تناولت السورة: تأكيد وحدة الرسالات والدين الحق الذي هو الإسلام،

(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) [آية: 85].

(قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [آية: 84]،

(وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ) [آية: 81]،

من مواطن التسليه في السورة من شرح الشيخ السعدي

1-قال تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138) .

وهذه الآيات الكريمات، وما بعدها في قصة « أحد » يعزي تعالى عباده المؤمنين ويسليهم، ويخبرهم أنه مضى قبلهم أجيال وأمم كثيرة، امتحنوا، و ابتلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين، فلم يزالوا في مداولة ومجاولة، حتى جعل الله العاقبة للمتقين، والنصرلعباده المؤمنين، وآخرالأمرحصلت الدولة على المكذبين، وخذلهم الله بنصررسله و أتباعهم

2-وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148) .

هذا تسلية للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعلهم، وأن هذا أمرقد كان متقدما، لم تزل سنة الله جارية بذلك، فقال: (وكأين من نبي) أي: وكم من نبي (قاتل معه ربيون كثير) أي: جماعات كثيرون من أتباعهم، الذين قد ربتهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة، فأصابهم قتل وجراح وغيرذلك. (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا) أي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، ولهذا قال: (والله يحب الصابرين) .

ثم ذكرقولهم واستنصارهم لربهم، فقال: (وما كان قولهم) أي: في تلك المواطن الصعبة (إلا أن قالوا ربنا اغفرلنا ذنوبنا وإسر افنا في أمرنا) والإسراف: هو مجاوزة الحد إلى ما حرم، علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي منها من أسباب النصر، فسألوا ربهم مغفرتها.

ثم إنهم لم يتكلوا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقاة الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبروترك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستنصاربربهم، لا جرم أن الله نصرهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من النصروالظفروالغنيمة، (وحُسن ثواب الآخرة) وهو الفوزبرضا ربهم، والنعيم المقيم الذي قد سلم من جميع المنكدات، وما ذاك إلا أنهم أحسنوا له الأعمال، فجازاهم بأحسن الجزاء، فلهذا قال: (والله يحب المحسنين) في عبادة الخالق ومعاملة الخلق، ومن الإحسان أن يفعل عند جهاد الأعداء، كفعل هؤلاء الموصوفين.

3-أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165) .

هذا تسلية من الله تعالى لعباده المؤمنين، حين أصابهم ما أصابهم يوم « أحد » وقتل منهم نحو سبعين، فقال الله: إنكم (قد أصبتم) من المشركين (مثليها) يوم بدر فقتلتم سبعين من كبارهم وأسرتم سبعين، فليهن الأمر ولتخف المصيبة عليكم، مع أنكم لا تستوون أنتم وهم، فإن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار.(قلتم أنى هذا) أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهزمنا؟ (قل هو من عند أنفسكم) حين تنازعتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية.

(إن الله على كل شيء قدير) فإياكم وسوء الظن بالله، فإنه قادر على نصركم ، ولكن له أتم الحكمة في ابتلائكم ومصيبتكم. ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ

4-ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171) .

هذه الآيات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله) أي: في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله (أمواتا) أي: لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها، الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة. (بل) قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم (أحياء عند ربهم) في دار كرامته.

ولفظ: (عند ربهم) يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، (يرزقون) من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه، إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا (فرحين بما آتاهم الله من فضله) أي: مغتبطين بذلك، قد قرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنغص، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله: فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا (يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) أي: يبشر بعضهم بعضا، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، (ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي: يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور

(يستبشرون بنعمة من الله وفضل) أي: يهنىء بعضهم بعضا، بأعظم مهنأ به، وهو: نعمة ربهم، وفضله، وإحسانه، (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) بل ينميه ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.

وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضا، وتبشير بعضهم بعضا.

5-فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (184) .

سلَّى رسوله ﷺ، فقال: (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك) أي: هذه عادة الظالمين، ودأبهم الكفربالله، وتكذيب رسل الله وليس تكذيبهم لرسل الله، عن قصورما أتوا به، أوعدم تبين حجة، بل قد (جاءوا بالبينات) أي: الحجج العقلية، والبراهين النقلية، (والزبر) أي: الكتب المزبورة المنزلة من السماء، التي لا يمكن أن يأتي بها غيرالرسل.

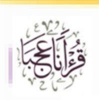
(والكتاب المنير) للأحكام الشرعية، وبيان ما اشتملت عليه من المحاسن العقلية، ومنيرأيضا للأخبارالصادقة، فإذا كان هذا عادتهم في عدم الإيمان بالرسل، الذين هذا وصفهم، فلا يحزنك أمرهم، ولا يهمنك شأنهم

6-لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ (198) .

وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، و أنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله (متاع قليل) ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلا ويعذبون عليه طويلا هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه.

وأما المتقون لربهم، المؤمنون به- فمع ما يحصل لهم من عزالدنيا ونعيمها (لهم جنات تجري من تحتها الأنهارخالدين فيها) .

فلو قدرأنهم في دارالدنيا، قد حصل لهم كل بؤس وشدة، وعناء ومشقة، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور، والبهجة نزرا يسيرا، ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال تعالى: (وما عند الله خيرللأبرار) وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم و أفعالهم، فأثابهم البرالرحيم من بره أجرا عظيما، وعطاء جسيما، وفوزا دائما.



من كتاب البينات في علم المناسبات للشيخ فايز السريح

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

أولا: مناسبة السورة لما قبلها؛ وفيها ستة وأربعون وجهًا:

الوجه الأول: أنَّ سورة البقرة وسورة آل عمران افتُتحت بنفس الفاتحة في قولـه: ﴿الٓمٓ﴾[1].

الوجه الثاني: اشتراكهما في التَّسمية بالزهراوَيْن[2].

الوجه الثالث: افتُتحت آيَةُ الكرسيِّ في سورة البقرة بقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، وبه افتُتحت سورة آل عمران في قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

الوجه الرابع: خُتمت سورة البقرة بآية ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾، فافتُتحت هذه السورة ببيان بعضِ صفات الله تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾؛ لتأكيد أنَّه أهلٌ لأنْ يُتوجَّهَ إليه بتلك الطلباتِ في الآية السابقة ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إلىٰ ختام السورة، ثم ببيانِ الكُتُب التي آمَنَ بها الرسولُ والمؤمنون ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ وهذه أمهات الكتب السماوية، ثم عَمَّ بقيَّتَها ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾كالزَّبُور والصُّحُف، ثم أتبع هذا بيان أنَّ المؤمنين آمنوا بالكتاب كلِّه ولم يُفرِّقوا بين مُحكَمِه ومتشابَـهِه، كما لم يفرقوا بين أحدٍ من رُسُلِه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢١).

(٢) أسرار ترتيب القرآن (ص٧٤).

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ ثم مناسبة قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآنِ وبقيَّةِ الكتب، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ظاهرة، وهي أن الله ينتقم من الكفَّار بنَصْرِ المؤمنين عليهم؛ استجابةً لدُعائهم السابقِ ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

الوجه الخامس: افتُتحت سورة البقرة بوصف الكتاب بأنَّه لا ريبَ فيه في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾، وافتتحت سورة آل عمران بقوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، وهذا بسطٌ وإطناب؛ لنَفْيِ الرَّيبِ عنه[2].

الوجه السادس: في سورة البقرة قال تعالىٰ مُجملاً: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، وقال في سورة آل عمران مُفصِّلاً: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[3].

الوجه السابع: ذُكر في سورة البقرة قصَّةُ خلقِ النَّاسِ إجمالاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾، وفي سورة آل عمران ذكر تصويرهم في الأرحام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾[4].

الوجه الثامن: قال في خواتيم البقرة: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ وقال في أوائل آل عمران: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فقولُه في سورة البقرة: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾

(١) جواهر البيان في تناسب سور القرآن (ص٢٧).

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٢)، وأسرار ترتيب القرآن (ص٦٣).

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٢).

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٤).

يناسب قولَه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[1].

الوجه التاسع: أنَّ كلاً منهما بُدئ بذكر الكتاب وحالِ الناس في الاهتداء به؛ فقد ذكر في سورة البقرة مَن آمَنَ به ومَن لم يؤمن به والمذبذَبين بين ذلك، وفي سورة آل عمران ذكر طائفة الزائغين الذين يتّبعون ما تَشَابَهَ منه ابتغاءَ الفتنة، وطائفة الراسخون في العِلم الذين يؤمنون بـمُحكَمِه ومتشابَهِه ويقولون: كلٌّ من عند ربِّنا[2].

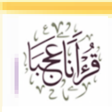
الوجه العاشر: افتُتِحت سورة البقرة بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾، وخُتمت سورة آل عمران بقوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾[3].

الوجه الحادي عشر: افتُتِحت سورة البقرة بذكر المتَّقين ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾، وأنَّهم المفلحون ﴿ أُولَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾، وخُتمت به سورةُ آل عمران في قوله: ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4].

الوجه الثاني عشر: في سورة البقرة ذكر إنزال الكتاب مجمَلاً، وقسَّمه في سورة آل عمران إلى آياتٍ مُحكَمَاتٍ وأُخَرَ متشابهاتٍ في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧][5].

الوجه الثالث عشر: ذكر دعاء المؤمنين في خواتيم سورة البقرة ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا

(١) التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم (ص٩١-٩٢).
(٢) تفسير المراغي (٣/ ٩٠).
(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٥)، وأسرار ترتيب القرآن (ص٦٨).
(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٥)، تفسير المراغي (٣/ ٩١)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٨).
(٥) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٢)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٣).



وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وذكر دعاء الراسخين في العلم في مُفتتَح سورة آل عمران ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩ ﴾[1].

الوجه الرابع عشر: قال في خاتمة سورة البقرة علىٰ لسان المؤمنين ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال في أوائل سورة آل عمران: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٢] كما ذكر نصر المؤمنين في معركة بدر، فكأنَّ ما ذكره في سورة آل عمران هو استجابةٌ لِما دعا به المؤمنون في أواخر سورة البقرة[2].

الوجه الخامس عشر: لـمَّا قال في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠]، قال في سورة آل عمران: ﴿ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [آل عمران: ٢٤].

الوجه السادس عشر: لما قال في سورة البقرة: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، قال في سورة آل عمران: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فزاد إطنابًا وتفصيلاً[3].

الوجه السابع عشر: افتُتِحت سورة البقرة بقصَّةِ آدمَ عليه السلام؛ حيث خلَقَه اللهُ من غير أبٍ ولا أُمٍّ، وذكر في سورة آل عمران نظيره في الخلق من غير أب؛ وهو عيسىٰ

(١) التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم (ص٩٢).
(٢) التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم (ص٩٣).
(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٣)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٤).

عليه السلام؛ ولذلك ضرب له المثل بآدم عليه السلام[١].

الوجه الثامن عشر: قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، ثم بسط الوعيد في سورة آل عمران بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧][٢].

الوجه التاسع عشر: حذَّر اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في سورة البقرة من الربا، ولم يزد علىٰ لفظ الربا؛ إيجازًا، وزاد في سورة آل عمران بقوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وفي هذا بيانٌ وبَسْطٌ[٣].

الوجه العشرون: لـمَّا قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، قال في سورة آل عمران: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

الوجه الحادي والعشرون: لـمَّا قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، قال في سورة آل عمران: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الوجه الثاني والعشرون: لـمَّا قال في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، قال في سورة آل عمران: ﴿فَٱتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، فجاء أمرُهم باتِّباع ملَّةِ إبراهيم عليه السلام.

الوجه الثالث والعشرون: جاء في سورة البقرة ذِكرُ البيتِ وبنائه علىٰ يَدِ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾، وجاء في سورة آل عمران أنه أولُ بيتٍ وُضع للناس في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾.

الوجه الرابع والعشرون: قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وذلك إنما يدلُّ علىٰ الوجوب إجمالاً، وفصَّله في سورة آل عمران بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وزاد: بيان شرط الوجوب بقوله: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، ثم زاد: تكفير مَن جَحَدَ وجوبَه بقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧][١].

الوجه الخامس والعشرون: لـمَّا قال في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، قال في سورة آل عمران: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨].

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٤)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٦-٦٧)، وانظر: تفسير المراغي (٣/ ٩٠).

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٤)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٦).

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٣)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٤).

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٣)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٥).

الوجه السادس والعشرون: قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩]، فدلَّ علىٰ تفضيل هذه الأُمَّةِ علىٰ اليهود تعريضًا لا تصريحًا، وكذلك قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] في تفضيل هذه الأمة علىٰ سائر الأمم بلفظٍ فيه يسيرُ إبهامٍ، وجاء في سورة آل عمران بصريح البيان فقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ثم زاد بيان وجه الخيريَّةِ بقوله: ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠][1].

الوجه السابع والعشرون: قال تعالىٰ في سورة البقرة عن أهل الكتاب: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ [البقرة: ٨٣]، فأجمَلَ القليلَ، وفصَّلَه في سورة آل عمران بقوله: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2].

الوجه الثامن والعشرون: في سورة البقرة جاء انتصارُ طالوتَ وجنودِه مع قِلَّتِهم وضَعفِهم ﴿ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾، وفي سورة آل عمران جاء انتصارُ رسولِ الله ﷺ وأصحابِه علىٰ المشركين في غزوة بدرٍ وهم قِلَّةٌ ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾[3].

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٣)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٥).

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٣)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٥).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٢)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٤).

الوجه التاسع والعشرون: لـمَّا قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، قال في سورة آل عمران: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٤][1].

الوجه الثلاثون: لـمَّا قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٤]، قال في سورة آل عمران: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

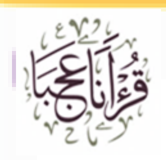
الوجه الحادي والثلاثون: جاء في دعاء أهل الإيمان عندما بَرَزُوا لعدوِّهِم في سورة البقرة: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، وفي سورة آل عمران جاء في فاتحة دعائهم سؤال المغفرة في قوله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧][2].

الوجه الثاني والثلاثون: قال تعالىٰ في سورة البقرة في صفة النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ (٢٤) ﴾، ولم يقل في الجنة ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾، وقال في آخِرِ آلِ عمران: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾، فكأنَّ السورتين بمنزلة سورةٍ واحدة[3].

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن (ص٦٦)، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٤).

(٢) انظر: تفسير المراغي (٣/ ٩٠-٩١).

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٤).



الوجه الثالث والثلاثون: لـمَّا ذكر في سورة البقرة دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ذكر في سورة آل عمران استجابةَ الدعوة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤][١].

الوجه الرابع والثلاثون: أوجز في سورة البقرة ذكرَ المقتولين في سبيل الله بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وزاد في سورة آل عمران بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧٠]، وذلك إطنابٌ عظيم[٢].

الوجه الخامس والثلاثون: لـمَّا قال المرجِفون في سورة البقرة: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، قال المرجفون في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

الوجه السادس والثلاثون: في سورة البقرة رغَّب في الإنفاق فقال: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وفي سورة آل عمران حذَّرَ المستهزئين فقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١][٣].

الوجه السابع والثلاثون: لـمَّا قال في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، قال في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٥)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٨).

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٣)، أسرار ترتيب القرآن (ص٦٤).

الوجه الثامن والثلاثون: خُتمت سورة البقرة بالدُّعاء في قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وختمت سورة آل عمران بالدُّعاء في قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩١- ١٩٣]، ففي سورة البقرة كان الدُّعاء ينحو نحوَ طلبِ النَّصر علىٰ مَن حارب الدَّعوةَ وكفر بالله ورفع التكليف بما لا يُطاق، وهذا مما يُناسب بداءة الدين، وفي سورة آل عمران كان الدعاء يَرمي إلىٰ قبول دعوة الدين وطلبِ الجزاء علىٰ ذلك في الآخرة[١].

الوجه التاسع والثلاثون: أنَّ في كلتا السُّورتين محاجَّةً لأهل الكتاب، لكنْ في سورة البقرة إسهاب في محاجة اليهودِ وإيجازٌ في محاجة النَّصارىٰ، وفي سورة آل عمران عكسُ هذا؛ لأنَّ النَّصارىٰ متأخِّرون في الوجود عن اليهود، فناسَبَ تأخيرهم في ذلك[٢].

الوجه الأربعون: قال أبو حيَّان: لـمَّا ذكر في آخِر سورة البقرة: ﴿أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)﴾، ناسَبَ أن يذكر نُصرةَ اللهِ تعالىٰ علىٰ الكافرين حيث ناظَرهم رسولُ الله ﷺ، وردَّ عليهم بالبراهين السَّاطعةِ والحُجَج القاطعة،

---

(١) انظر: تفسير المراغي (٣/ ٩٠-٩١).

(٢) تفسير المراغي (٣/ ٩٠).

فقصَّ تعالىٰ أحوالهم وردَّ عليهم اعتقادَهم وذكر تنزيهَه تعالىٰ عمَّا يقولون وبِدَاءَة خلقِ مريمَ وابنِها المسيح إلىٰ آخر ما ردَّ عليهم، ولما كان مُفتَتَحُ آيةِ آخِرِ سورةِ البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فكأنَّ في ذلك الإيمانَ بالله وبالكُتب، ناسَبَ ذِكرَ أوصافِ الله تعالىٰ، وذكرَ ما أنزل علىٰ رسوله، وذكر المُنزَّل علىٰ غيره صلَّىٰ الله عليهم[1].

الوجه الحادي والأربعون: سورة البقرة تضمَّنَت قواعدَ الدين، فكأنَّها بمثابة إقامةِ الدَّليل علىٰ الحكم، وجاءت سورة آل عمران مكمِّلةً لمقصودها، فكأنَّها بمثابة الجوابِ عن شُبهات الخصوم[2].

الوجه الثاني والأربعون: في سورة البقرة صرَّح بذكر التَّوراةِ خاصَّةً؛ لأنَّ السُّورة خِطابٌ لليهود، والتوراة هي الأصل، وفي سورة آل عمران صرَّح بذِكر الإنجيل أيضًا؛ لأنَّ السورة خطابٌ للنَّصارىٰ، والإنجيلُ فرعٌ للتَّوراةِ[3].

الوجه الثالث والأربعون: ذِكرُ القتالِ وقَعَ مجمَلاً في سورة البقرة: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٤٤]، وفي قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وفي سورة آل عمران فُصِّلت قصَّةُ أُحُدٍ بكاملها[4].

الوجه الرابع والأربعون: خُتمت سورة البقرة بالحديث عن إيمان الرسول ﷺ والمؤمنين بكلِّ الكُتُب المنزَّلةِ، وبدأت سورة آل عمران بالحديث عن تلك الكتبِ

(١) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيَّان (٢/ ٣٨٩).

(٢) قطوف الأزهار في كشف الأسرار، للسيوطي (١/ ١٥٣).

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٢).

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٢).

المنزَّلة والإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ[1].

الوجه الخامس والأربعون: خُتمت سورة البقرة بطلب المؤمنين النَّصْرَ علىٰ الكفَّار في قوله: ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وجاء في بداية سورة آل عمران وعدُ اللهِ بهذا النَّصرِ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢][2].

الوجه السادس والأربعون: اتَّحدت سورة البقرة وسورة آل عمران في تقرير الأصول؛ من الرُّبوبية، والكتاب، والنُّبوَّة، وغيرِ ذلك[3].

ثانيًا: مناسبة أوَّلِ السورة بآخرها، وفيها أربعةَ عشرَ وجهًا:

الوجه الأول: بُدئت السورة بالحديث عن الوحي المسطور، وهو الكتب المنزَّلة من الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [آل عمران: ٣-٤]، وخُتمت بالحديث عن التفكُّرِ في الوحي المنظور، والآياتِ الواضحات في خلق الأرض والسماوات: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[4].

الوجه الثاني: بدأت السورة بالحديث عن القرآن والتوراة والإنجيل في قوله تعالىٰ: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٠).

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤٢٠)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٢/ ٣٨٩).

(٣) أسرار ترتيب القرآن (ص٧٧-٧٨).

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (١/ ٤١٧).

وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾، وخُتمت به: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1].

الوجه الثالث: افتُتحت بالوعيد للكافرين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ٤]، وخُتمت بالوعد للمؤمنين في قوله: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥][2].

الوجه الرابع: بدأت بالدعاء في قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، وخُتمت به في قوله: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤][3].

الوجه الخامس: افتُتحت بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩]، وختمت بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤][4].

الوجه السادس: بدأت بتهوين شأنِ الكافرين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٠]، وخُتمت به في قوله: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [آل عمران: ١٩٦][5].

الوجه السابع: ذُكر في أوَّلِ السورةِ التَّهديدُ والوعيد للكافرين، وأنَّ أموالهم

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (١/ ٤١٧)، وقطف الأزهار، للسيوطي، (١/ ٦٧٥).
(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (١/ ٤١٧).
(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (١/ ٤١٦)، وجواهر البيان في تناسب سور القرآن للغماري (ص٢٨).
(٤) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع (ص٤٨).
(٥) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤١٦)، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، للغماري (ص٢٨).

وأولادهم لن يُغنوا عنهم من الله شيئًا، ثم ذُكر في آخرِها أنَّ مصيرَّهم إلىٰ جهنَّم[1].

الوجه الثامن: ذَكَرَ أُولي الألبابِ في أوائل السورة وذكر دعاءَهم، وكذلك ذكرهم في أواخر السورة وذكر دعاءهم[2].

الوجه التاسع: ذُكر في أوَّلِ السورة تعلُّقُ النَّاسِ بشهوات الدنيا والتي منها المال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ [آل عمران: ١٤]، ثم ذُكر في آخرها الوعيدُ الشَّديد للَّذين يبخلون بأموالهم ولا يُنفقونها في سبيل الله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠][3].

الوجه العاشر: ذكر الآخِرةَ في البدء والختام، فقال في أوَّلِ السورة: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩]، وقال في خواتيمها: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤][4].

الوجه الحادي عشر: ذُكر في أوَّل السورة مدحٌ للمُنفِقين في قوله: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾، وجاء في آخر السورة ذمٌّ للبخلاء في قوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾[5].

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤١٨).
(٢) التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم (ص١٤).
(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤١٧).
(٤) التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم (ص١٤).
(٥) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (١/ ٤١٨).



الوجه الثاني عشر: ذُكر في أوَّلِ السورة قولهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤]، ثم ذُكر في آخرها أنَّ تقلُّبَهم في الدنيا هو المعدود، فهو متاعٌ قليل، وأنَّ مأواهم جهنَّمُ وبئسَ المهادُ(١).

الوجه الثالث عشر: ذُكر في أوَّلِ السورة عدمُ مُوالاة المؤمنين للكافرين في قوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾، وفي آخرها وعدٌ بالجنَّة للَّذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم فرارًا عن موالاة الكافرين في قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾ [آل عمران: ١٩٥](٢).

الوجه الرابع عشر: ذُكر في أوَّل السورةِ الأمرُ بطاعة الله تعالىٰ واتِّباع رسولِه ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢]، وفي آخرها مَدَحَ اللهُ المستجيبين لرسوله ﷺ، فقال تعالىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾(٣).



يوضح الجدول الآتي المواضع التي وردت مجملة في سورة البقرة ، ومفصلة في سورة آل عمران

سورة البقرة	سورة آل عمران
وصف الكتاب بأنه (لَا رَيْبَ فِيهِ)	(نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) وذاك بسط وإطناب لنفي الريب عنه
ذكر إنزال الكتاب مجملاً	قسمه إلى آيات محكمات وأخر متشابهات
قال تعالى : (وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) مفصلاً	(وَ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ)
صرح بذكر التوراة خاصة لأن السورة خطاب لليهود ، والتوراة هي الأصل.	صرح بذكر الإنجيل أيضاً لأن السورة خطاب للنصارى ، والإنجيل فرع للتوراة.
ذكر القتال وقع مجملاً : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [190،244] ، (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ)[216]	فصلت قصة أحد بكاملها
حذر من الربا ولم يزد على لفظ الربا إيجازاً	زاد قوله : (أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) [130]
أوجب الحج إجمالاً ، فقال سبحانه وتعالى : (وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ)[196]	فصله بقوله : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) [97] ، وزاد بيان شرط الوجوب بقوله : (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) ، وزاد تكفير من جحد وجوبه بقوله : (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)
قال تعالى بإيجاز: (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ)[247]	فصل ذلك فقال : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [26](
قال في أهل الكتاب : (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ)[83] فأجمل القليل من أهل الكتاب	فصله بقوله : (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) [113]
أوجز ذكر الشهداء في سبيل الله بقوله : (أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)[154]	زاد وفصَّل القول في أحوالهم، وما صاروا إليه: (عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ) [169-170]
عرض ولم يصرح بتفضيل الأمة على اليهود ، فقال : (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ)[139]	صرح بتفضيل هذه الأمة فقال: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) ، فقوله : (كُنْتُمْ) أصرح في قِدَم ذلك من (جعلناكم) ثم زاد وجه الخيرية بقوله : (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ).

يوضح الجدول الآتي المواضع التي تشابهت في السورتين ، بغرض استكمال الحديث أو ذكر ما هو لازم له :

في سورة البقرة	في سورة آل عمران
ذكر خلق الناس	ذكر تصويرهم في الأرحام
ذكر مبدأ خلق آدم	ذكر مبدأ خلق أولاده
ذكر قصة آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم	ذكر قصة نظيره في الخلق من غير أب وهو عيسى عليه السلام ، وضرب له المثل بآدم
قال في صفة النار (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [24] ، ولم يقل في الجنة (أعدت للمتقين) مع افتتاحها بذكر المتقين والكافرين معاً.	قال في آخر آل عمران في قوله : (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [133] . فكأن السورتين بمنزلة سورة واحده
افتتحت بذكر المتقين و أنهم المفلحون	ختمت (وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [200]
افتتحت بقوله (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) [4]	ختمت بقوله (وإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ) [199]
رغب في الإنفاق فقال : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) [245]	حذر المستهزئين بقوله : (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌوَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) [181]



من كتاب دلالة أسماء السور القرآنية
على محاورها وموضوعاتها للدكتور عمر عرفات

سورة آل عمران: سورة بيان الاصطفاء الخاص لآل عمران والاصطفاء العام لأمة الإسلام وموقف الأمم الأخرى من ذلك

الموضوع الأول: (الآيات: ١-١٨)

المقدمة التي تبين اصطفاء أمة التوحيد وتعرض بإيجاز موقف الكافرين من ذلك:

- افتتحت السورة ببيان أن الله خصّ أمة التوحيد بالكتاب الخالد: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.
- ويؤيد ذلك أيضاً قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾.
- هوّنت المقدمة من شأن الكافرين المعادين لأمة التوحيد المصطفاة: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، وقد ذكرتهم بهزيمتهم في بدر.
- وبيّنت أن معيار الاصطفاء عند الله ليس بالشهوات والمال والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة بل بالتقوى والعمل الصالح.

الموضوع الثاني (الآيات: ١٩-١١٥)

معالجة معركة أمة التوحيد المصطفاة مع أهل الكتاب.

- بعد بيان اصطفاء الله لأمة التوحيد، انتقل السياق إلى التفصيل في عرض موقف الأمم من ذلك فابتدأ بأهل الكتاب وبيّن أن الذي أخرجهم من مظلة الاصطفاء الرباني إنما هو حسدهم وبغيهم وكفرهم بآيات الله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾.
- حذّر السياق المؤمنين من موالاتهم: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- وأمر المؤمنين بطاعة القائد المصطفى ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.
- عرض قصة اصطفاء آل عمران من الأصل، وفي ذلك ردّ على أيّ فرية متعلّق بمريم وعيسى عليهما السلام.
- بيّنت القصة أن امرأة عمران كانت عابدة متبلتة له أن يحفظ ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم.
- وبيّنت أن الله اصطفى مريم بمعجزة عظيمة تكريماً لها فحملت بعيسى عليه السلام بلا زوج.
- وقد اصطفاه الله وجعله رسولاً إلى بني إسرائيل مؤيداً بالمعجزات الباهرات، وفي ذلك ردّ لأيّ فرية حوله وحول أمه: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.
- ثم لقّن السياق أمة التوحيد الحجة ضد فريات أهل الكتاب: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.
- وقد ردّ السياق كثيراً من فريات أهل الكتاب المتعلقة بإبراهيم عليه السلام، ببيان أنه كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين.

الموضوع الثالث: (الآيات: ١١٦-١٧٨)

معالجة معركة أمة التوحيد مع المشركين:

- ثم انتقل السياق لمعالجة موقف المشركين من أمة التوحيد المصطفاة، فعرض بعض أحداث معركة أُحد مع توجيهات عدّة تُبقي المؤمنين في مظلّة الاصطفاء الرباني.
- فقد سمى السياق الانسحاب من المعركة فشلاً، وبيّن معيّة الله في المعركة للمتقين الصابرين: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.
- وقد حرم السياق الربا في وسط الكلام عن المعركة لأن آكل الربا قد أعلن الله عليه الحرب فلا يمكن أن ينتصر.
- وقد رفع الروح المعنوية والنفسية للمؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾، وحذّر من موالاة الكافرين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾.
- وقد أمرهم بالثقة بالله وبنصر الله: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾، وحذّرهم من كيد الشيطان: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

الموضوع الرابع: (الآيات ١٧٩-٢٠٠)

الخاتمة المؤكّدة لما سبق:

- أعادت تقرير أن الاصطفاء سُنّة إلهية ماضية إلى يوم الدين: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.
- وأعادت التحذير من الموقف المعادي لأهل الكتاب: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾.
- وقد أعادت التهوين من شأن الكافرين المعادين: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾.
- وكما افتتحت السورة بيان اصطفاء الله لأمة التوحيد، ختمت بآية جامعة مانعة تبقي من التزم بها تحت مظلة الاصطفاء الرباني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾.



المقطع الأول : مقدمات للحوار مع النصارى[١ - ٣٢]

المقدمة الأولى :إنزال الكتب هداية وامتحان للناس [١ - ٩]

مناسبة هذا المقطع لمحور السورة :

المناسبة ظاهرة جداً، بل إن هذا المقطع لخَّص النقاش العام في السورة، حيث بدأ بإقرار وحدانية الله تعالى وأنه ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ ، وأثبت إنزال الكتب على رسله، وبين أن الأموال والأولاد لن ينفعوا الكفارَ شيئاً، وبين حقيقة الدنيا، واستخدم الترهيب والترغيب في ذلك، وقطع باب الجدال الذي لا يفضي إلى نتيجة، ثم دعت الآيات إلى مقاطعة أهل الكفر وعدم موالاتهم، وختمت بتوضيح حقيقة الحب والاتباع، وحذرت الكافرين من أن الله تعالى لا يحبهم. والآيات في كل ذلك تعرض بأهل الكتاب من اليهود والنصارى.

رقم الآية	المناسبة لما قبلها
(3)	ومن قيامه تعالى بعباده ورحمته بهم أن نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب. – السعدي-
(4)	لَمَّا قرَّر اللَّهُ سبحانه ما يتعلَّقُ بمعرفةِ الإله، وما يَتعلَّقُ بتقرير النُّبوَّةِ، أَتْبَع ذلك بالوعيدِ؛ زجرًا للمُعرِضين عن هذه الدَّلائلِ الباهِرة عليهما -المحرر-
(6)	لَمَّا قرَّر سبحانه إحاطةَ عِلمِه بالمعلومات كلِّها، جَلِيِّها وخفيِّها، ظاهرها وباطنها، ذَكَر من جملةِ ذلك الأجِنَّةَ في البطون، الَّتي لا يُدركُها بصرُ المخلوقين، ولا يَنالُها عِلمُهم، وهو تعالى يدبِّرُها بألطفِ تدبير، ويقدِّرُها بكلِّ تقدير. –المحرر-
(7)	ولما كان أهل الزيغ من النصارى وغيرهم، يوردون في الاحتجاج على باطلهم بعض آيات القرآن التي يخفي معناها ويلتبس على الكثير؛ قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ) -يا محمد - (صلى الله عليه وسلم)(الْكِتَابَ) القرآن العظيم. -المحرر-
(8)	أنه لما كان المقام مقام انقسام إلى منحرفين ومستقيمين دعوا الله تعالى أن يثبتهم على الإيمان - السعدي-
(9)	هذا من تتمة كلام الراسخين في العلم، وهو يتضمن الإقرار بالبعث والجزاء واليقين التام ، وأن الله لابد أن يوقع ماوعد به، وهذا يستلزم موجبه ومقتضاه من العمل والاستعداد لذلك اليوم، فإن الإيمان بالبعث والجزاء أصل صلاح القلوب التي دعو الله ألا يزيغها في الآية السابقة، وأصل الرغبة في الخير والرهبة من الشراللذين هما أساس الخيرات -السعدي-

الجزء الثالث — سورة آل عمران ٣

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ — ترتيبها ٣ — آياتها ٢٠٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

٥٠

١ ←(٦)→ ٦
إثباتُ التوحيدِ، وبيانُ أنَّ اللهَ أنزلَ الكتبَ هدايةً للناسِ، ثُمَّ الردُّ على ادِّعاءِ النَّصارى أن عيسى عليه السلام إلهٌ بأنَّ اللهَ صوَّرَهُ في الرَّحمِ فكيف يكونُ إلهًا ؟! ولذا خُتِمَتْ الآيةُ بإثباتِ التوحيدِ.

٧ ←(٣)→ ٩
القرآنُ مِنْهُ آياتٌ بينةٌ واضحةٌ لكلِّ أحدٍ، وهي الأكثرُ التي يُرجعُ إليها، ومِنْهُ آياتٌ تُشْكِلُ على بعضِ النَّاسِ، والواجبُ في هذا أن يُردَّ المتَشَابَهُ إلى المُحكَمِ، ثُمَّ التذكيرُ بيومِ القيامةِ.

٧- ﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾: واضحات الدلالة، ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾: خفيات، لا يتعين المراد منها إلا بردها إلى المحكمات، ﴿تَأۡوِيلِهِۦ﴾: تفسيره أو معرفة حقيقته، ﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: العقول.

(٥) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ إذا أردت أن تعمل معصية فابحث عن مكان تختبئ فيه عن نظر الله.

(٨) ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ لا يأمن المؤمن على نفسه الفتن، لذا يكثر الدعاء بالثبات على الهداية.

١: البقرة [١]، العنكبوت [١]، الروم [١]، لقمان[١]، السجدة [١]، ٤: آل عمران [٢١].

9- التوسل للّه بأفعاله بعد أسمائه

المقدمة الثانية:تحذير الكافرين وبيان حقيقة الدنيا:[١٠-١٨]

الجزء الثالث — سورة آل عمران ٣

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

٥١

١٠ ←(٤)← ١٣
بعدَ ذكرِ يومَ القيامةِ بَيَّنَ هنا أنَّ كثرةَ الأموالِ والأولادِ لن تمنعَ عذابَ اللهِ عن الكافرينَ، ودَعَاهم للاعتبارِ بحالِ آلِ فرعونَ ومَن قَبلِه، ثُمَّ هدَّدَهم بنفسِ المصيرِ، وذكَّرَهم بما حدثَ يومَ بدرٍ ٢ هـ.

١٤ ←(٢)← ١٥
لمَّا بيَّنَ عقوبةَ الكافرينَ حذَّر هنا أهلَ الإيمانِ من أنْ تُلهيَهم زينةُ الدُّنيا وشهواتُها عن الآخرةِ، فذكرَ ستةَ أصنافٍ من الشهواتِ، ثُمَّ بيَّنَ أنَّ نعيمَ الجنَّةِ خيرٌ وأبقى.

١٤- ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ﴾: الأموالُ الكثيرةُ من الذهبِ والفضَّةِ، ﴿الْمَآبِ﴾: المرجعُ.
(١١) ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ الذنوبُ سببُ العذابِ العاجلِ والآجلِ، فبادرْ بالاستغفارِ والتوبةِ.
(١١) ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ البعضُ اعتمدَ على رحمةِ اللهِ وكرمِه فضيَّعَ أمرَهُ ونهيَهُ، ونسيَ أنَّه شديدُ العقابِ.
(١٢) ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ خبرٌ وبشرى للمؤمنين، وتخويفٌ للكافرين أنَّهم لا بدَّ أن يُغلَبوا في هذه الدُّنيا.
١٠: آل عمران [١١٦]، المجادلة [١٨]، ١١: الأنفال [٥٢]، الأنفال [٥٤]، ١٥: الحج [٧٢].

بعد أن ختمت المقدمة الأولى بالتأكيد على البعث والحشر، حذرت الآيات الكافرين من الاغترار بأموالهم وأولادهم، وبينت أنها لن تغني عنهم من الله شيئاً، يوم القيامة، حيث سيكونون وقوداً للنار، وضربت مثلاً لهم بآل فرعون والأقوام السابقة، حيث ملكوا المال والمنصب، واستعبدوا الناس، وكذبوا بآيات الله تعالى، حتى إن فرعون ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٧]، فعاقبهم الله تعالى، ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

س:ما وجه ختم الآية بقوله: (إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)؟

لو نظر الناظر إلى مجرد الأسباب الظاهرة والعدد والعُدد لجزم بأن غلبة هذه الفئة القليلة لتلك الفئة الكثيرة من أنواع المحالات، ولكن وراء هذا السبب المشاهد بالأبصار سبب أعظم منه لا يدركه إلا أهل البصائر والإيمان بالله والتوكل على الله والثقة بكفايته؛ وهو نصره وإعزازه لعباده المؤمنين على أعدائه الكافرين.

السعدي

قرآنا عجبا

(10)

***ولما ذكر تعالى سبب ثبات عباده الراسخين في العلم -بإيمانهم ودعائهم-؛ ذكر الكافرين وسبب كفرهم، وهو: اغترارهم بهذه الحياة الدنيا، وما لهم من المال والبنين؛**

فقال عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا)بآيات الله، وكذبوا رسله، وخالفوا كتابه. -المنجد-

***لَمَّا ذكَر اللّهُ تعالى يومَ القيامة، وتَحقُّق أنَّ يومَ الجمْعِ كائنٌ لا محالةَ، تحقَّق أنَّ مِن نتائجه تَحقيقًا لعزَّتِه سبحانه وتعالى: أنْ يحاسِبَ الَّذين كفروا، وأنْ يَنتقِمَ منهم. -المحرر-**

***ولَمَّا حكَى اللّهُ تعالى ما دعَا به المؤمنون: مِن دوامِ الهدايةِ، وسؤالِ الرَّحمة، والفوزِ يومَ القِيامة، ذكَر حالَ الكافرين في ذلك اليوم، على عادةِ القُرآن في إردافِ البِشارة بالنذارة، وتعقيبِ دُعاءِ المؤمنين، بذِكر حالِ المشركين. -المحرر- ثم ضرب لهم مثلين**

(14)

لَمَّا ذكَر اللّهُ تعالى في الآياتِ السَّابقة عاقبةَ الكافرين، وأنَّهم لم تُغنِ عنهم أموالُهم ولا أولادُهم، وعَظ وحذَّر مِن أنْ تُلهيَ زينةُ الدُّنيا وشهواتُها عن الآخرة -المحرر

***ولما كان اليهود قد اغتروا بالقوة والكثرة والمال والسلاح، وظنوا أنهم سينتصرون بهذا؛ بين الله تعالى أن هذه الأشياء من متاع الدنيا الزائلة، وأن الآخرة خير وأبقى؛ فقال تعالى(زُيِّنَ لِلنَّاسِ) أي: جعلت هذه الأشياء السبعة - الآتية - مزينة في قلوبهم. والمزين هو الله عز وجل؛ ابتلاء واختبارا للعباد. والمعنى: أنها جعلت القلوب متعلقة بها.– المنجد-**

وفائدة هذا التمثيل أن الجنة لا تُنال إلا بترك الشهوات، وفطام النفس عنها. القرطبي

فبدأ بالنساء؛ لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في الصحيح أنه عليه السلام قال: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء).

(15)

لَمَّا ذكَر اللّهُ تعالى متاعَ الدُّنيا، شوَّق عبادَه إلى متاعِ الآخرةِ . –المحرر-

وأزواج: لما ذكر الله تعالى تلذذ البطن؛ ذكر تلذذ الفرج؛ فقال:(وَأَزْوَاجٌ).

ورضوان:ولما ذكر تعالى أنواعا من نعيم الجنة؛ نبه على ما هو أعلى وأعظم من جميع ما سبق؛ فقال:(وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ) *وإنما كان رضوان الله أكبر؛ لأنه نعيم روح وقلب، وما قبله نعيم بدن وجسد، ولهذ عندما يعرض الله على أهل الجنة المزيد، وأن يعطيهم أفضل مما أعطاهم؛ فيتساءلون: (وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم(رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا). -المنجد-

بدأ سبحانه في هذه الآية أولا بذكر المقر وهو الجنات، ثم ثنى بذكر ما يحصل به الأنس التام؛ وهو الأزواج المطهرة، ثم ثلث بذكر ما هو الإكسير الأعظم والروح لفؤاد الواله المغرم؛ وهو رضا الله عز و جل. الألوسي



(16)	لَمَّا ذكَر اللّهُ تعالى نعيمَ الآخرة، وأنَّه بصيرٌ بمَن يستحقُّ ما أعدَّ مِن الفوز العظيمِ، والنَّعيم المُقِيم، ذكَر مَن يستحقُّ هذا النَّعيمَ، ومَن هم أهله الَّذين هم أَولى به، وما استحقُّوا ذلك به من الأوصاف، تفضلًا منه عليهم بها، وبإيجابِ ذلك على نفسِه؛ حثًّا لهم على التَّخلُّق بتلك الأوصافِ. ثم فسَّر أحوالَ المتَّقين الموعودين بالجنَّاتِ فقال: الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا _المحرر-
(18)	لَمَّا مدح اللّهُ عزَّ وجلَّ المؤمنين وأثْنى عليهم بقولِه : (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا) أردَفه بأنْ بيَّن أنَّ دلائلَ الإيمانِ ظاهرةٌ جليَّةٌ (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) آل عمران: 16 -المحرر- *ولما ذم اللّه تعالى الكافرين، ومدح عباده المؤمنين؛ بين أصل الإيمان والعروة الوثقى، وشهد لنفسه بالوحدانية؛ فقال تعالى:(شَهِدَ اللَّهُ)أي: حكم وقضى، وبين وأخبر. (والشهادة) قائمة على العلم والإعلام. (أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُو)أي: لا معبود بحق إلا هو سبحانه.(وَالْمَلَائِكَةُ)أي: شهدت أيضا، (وَأُولُواْ الْعِلْم) شهدوا كذلك بوحدانيته. والمراد ب (العلم): العلم باللّه عز وجل، وشرعه. - المنجد-

الجزء الثالث — سورة آل عمران ٣

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ

١٦←(٤)←١٩

لمَّا وصفَ اللهُ نعيمَ المتقينَ في الجنَّةِ ذكرَ هنا صفاتِ المتَّقينَ الَّذينَ يستحقُّونَ بسببِها هذا النَّعيمَ، ثُمَّ قرَّرَ أنَّهُ الإلهُ الحقُّ

تخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، إذ العبادة حينئذ أشق، والنفس أصفى، والروع أجمع. الألوسي

المقدمة الثالثة: الإعلام بانتقال الرسالة والريادة إلى أمة الإسلام[١٩ - ٣٢]

قرءانا عجبا

(19) ولما بين تعالى أنه لا معبود بحق إلا هو؛ بين لعباده كيف يجب أن يعبدوه؛ فقال:(إنَّ الدِّينَ

أي: الشرعي، المرضى المقبول (عِنْدَ اللَّهِ)تعالى، هو: (الْإِسْلَامُ)وهو بمعناه

العام: الاستسلام، والانقياد التام، والتعبد له بها شرع، خالصا لوجهه. وأما الإسلام بمعناه

الخاص: فهو التعبد لله بالشرع الذي أنزله على محمد (صلى الله عليه وسلم)-المنجد-

(21) ولما ذكر الله تعالى معاقبة أهل الكتاب والمشركين، ذكرهم بجريمة من أعظم الجرائم - أو

أعظمها- مما اقترفه بعضهم، وهي: جمعهم بين الكفر بالله، وقتلهم خيار الناس. –المنجد

-ثم أخبر عن جزائهم؛ فقال:(فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) أي: أخبرهم بالعقوبة الموجعة المؤلمة.

جمَعَ اللهُ لِمَن يَكفُرون بآياته ويقتُلون أنبياءَه ومَن يأمُرُ بالقِسطِ مِن عبادِه، ثلاثةَ أنواعٍ من الوعيد؛

الأوَّل: اجتماع أسبابِ الآلامِ والمكروهاتِ في حقِّهم؛ كما في قوله :فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ,

والثَّاني: زوال أسبابِ المنافع عنهم بالكلِّيَّة؛ كما في قوله :أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ,

والثَّالث: لُزُوم ذلك في حقِّهم على وجهٍ لا يكونُ لهم ناصرٌ ولا دافعٌ؛ كما في قوله(وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) -المحرر-

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

هذا النعيم، ثم قرر أَنَّه الإلهُ الحقُّ المعبودُ، وبَيَّنَ الدِّينَ الذي يتعيَّنُ أن يُعبَدَ به وهو الإسلامُ.

٢٠←(٣)→٢٢

لمَّا بَيَّنَ اللهُ سببَ اختلافِ أهلِ الكتابِ وهو البغيُ والحسدُ بَيَّنَ هنا لرسولِه ﷺ ما يقولُه لهم إنْ جادَلُوه، ثُمَّ ذمَّ الذينَ يَكفُرونَ بآياتِه ويقتُلونَ الأنبياءَ والعلماءَ والدعاةَ.

٥٢

١٧- ﴿بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾: في أواخرِ الليلِ إلى طلوعِ الفجرِ، ١٩- ﴿بَغۡيَۢا﴾: حسدًا وعدوانًا.

(١٧) ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ صابرون وصادقون وقانتون ومنفقون ومع ذلك يستغفرون بالأسحار، فكيف بالمذنبين؟!

(١٧) دلَّتِ الآيةُ على فضيلةِ الاستغفارِ وقتَ الأسحارِ، فصَلِّ فيه ولو ركعتين ثمّ شاركهم.

(١٩) ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ أكبرُ مسؤوليةٍ أمامَ الدعاةِ اليومَ: إظهارُ الإسلامِ في صورتِه النقيَّة.

٢٠: آل عمران [٦١]، ٢١: البقرة [٦١]، آل عمران [١١٢، ١٨١]، النساء [١٥٥].

19-سبب الاجتماع والألفة: جمع الدين والعمل به كله؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما أمر به باطنا وظاهرا. وسبب الفرقة: ترك حظ مما أمر العبد به، والبغي بينهم. ونتيجة الجماعة: رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه. ونتيجة الفرقة: عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول ﷺ منهم. ابن تيمية

مناسبة هذا المقطع لمحور السورة:

المناسبة ظاهرة جداً، بل إن هذا المقطع لخَّص النقاش العام في السورة، حيث بدأ بإقرار وحدانية الله تعالى وأنه ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، وأثبت إنزال الكتب على رسله، وبين أن الأموال والأولاد لن ينفعوا الكفارَ شيئاً، وبين حقيقة الدنيا، واستخدم الترهيب والترغيب في ذلك، وقطع باب الجدال الذي لا يفضي إلى نتيجة، ثم دعت الآيات إلى مقاطعة أهل الكفر وعدم موالاتهم، وختمت بتوضيح حقيقة الحب والاتباع، وحذرت الكافرين من أن الله تعالى لا يحبهم. والآيات في كل ذلك تعرض بأهل الكتاب من اليهود والنصارى.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٢٣←(٣)→٢٥
لَمَّا ذكرَ اللهُ جدالَهم وعنادَهم بَيَّنَ هنا إعراضَهم عن التّحاكمِ إلى التوراةِ وهم يزعمونَ الإيمانَ بها، وذلك لظنِّهم أن النّارَ لن تمسَّهم إلا أيامًا معدوداتٍ.

٢٦←(٤)→٢٩
بعد ما تقدَّمَ من إعراضِ المشركين وأهلِ الكتابِ تأتي هذه الآياتُ تسليةً للنَّبي ﷺ، وتذكيرًا له بتفرُّدِ اللهِ بالمُلكِ، وقدرتِه على نُصرةِ دينِه، وبعدَ بيانِ بغيِ أهلِ الكتابِ يأتي النهيُ عن موالاةِ الكافرين.

٢٣- ﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: التوراة، ٢٤- ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾: أربعون يومًا، وهي التي عبدوا فيها العجل.
(٢٦) ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ عنوانُ شكواك لابدّ أن يتغير بعد هذا الإعلان.
(٢٧) ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ﴾ الرزقُ بيد اللهِ وحدَه، وما العبيدُ إلا وسائلُ يقدّرها اللهُ لإيصالِ هذا الرزق؛ فإذا سألت فاسأل الله.
(٢٨) ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ من رحمته بهم أن حذّرهم نفسه لئلا يقعوا في الحرام.
٢٣: النساء [٤٤]، ٢٣: النساء [٥١]، ٢٣: النور [٤٧]، ٢٤: البقرة [٨٠]، ٢٨: آل عمران [٣٠]، ٢٩: البقرة [٢٨٤].

وبعد هذه المقدمات في الحوار مع أهل الكتاب تشير الآيات إلى انتقال الراية من الأمم السابقة إلى أمة الإسلام؛ فتقرر الآيات حقيقة تفرد الله تعالى بالملك وتصرفه فيه، فهو سبحانه مالك الملك، يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، وهو على كل شيء قدير، وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى يختار من يشاء من عباده لحمل رسالته، كما قال تعالى ردّاً على اعتراضهم إرسال النبي ﷺ: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٢].

(23)	**لَمَّا نبَّه اللّهُ تعالى على عِنادِ القومِ بقوله :فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ] آل عمران: 20[، بيَّن في هذه الآيةِ غايةَ عنادِهم، وهو أنَّهم يُدْعَون إلى الكتابِ الَّذي يزعُمونَ أنَّهم يؤمنون به، وهو التَّوراةُ، ثمَّ إنَّهم يتمرَّدون، ويتولَّوْن، وذلك يدُلُّ على غايةِ عنادهم . (نموذج لعناد هم) ثم ذكر سبب عنادهم 24 ثم التهديد بالجزاء على عنادهم**
(26)	**لَمَّا أخْبَر تعالى أنَّ الكفَّارَ سيُغلَبون، وأنَّه ليس لهم من ناصرين، كان حالُهم مقتضيًا لأنْ يقولوا: كيف نُغلَبُ مع قوَّتنا وكثرتِنا وقلَّة أعدائِنا وضَعْفِهم؟ فقال اللّه تعالى: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ**
(28)	**لَمَّا بيَّن اللّهُ تعالى أنَّه مالكُ المُلك، وأنَّ بيده مجامعَ الخير، والسُّلطانَ المطلقَ في تصريف الكون، يُعطي مَن يشاء، ويَمنعُ مَن يشاء، ويُعزُّ مَن يشاء، ويُذِلُّ مَن يشاء، فإذا كانت العزَّةُ والقوَّة له- عزَّ شأنُه- فمِن الجهلِ والغرورِ الاعتزازُ بأحدٍ من دونه، أو اللُّجوءُ إلى غير بابِه، أو موالاةُ أعدائه. (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)**

وقوله تعالى ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ متصل بالآية السابقة، فهذه كلها دلائل الملك والإرادة، ولا أحد يجادل الله تعالى في ملكه وتصرفه في الليل والنهار والحياة والمات[٣]، فيجب أن لا يجادلوا في انتقال النبوة والملك من بني إسرائيل إلى أمة الإسلام[٤].

وفي استخدام ألفاظ الليل والموت، والنهار والحياة إشارة إلى ما في الديانات الباطلة المحرفة من ظلمات الجهالة والشرك، وإلى ما حدث بظهور الإسلام من إبطال تلك الضلالات[٥].

وبعد هذه الآيات كلها، تأتي النتيجة المنطقية في قوله تعالى ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فبعد بيان بغي أهل الكتاب وإعراضهم عن الحق، نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن موالاة الكافرين، كما قال تعالى ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١].

وفي قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) ﴾ إخبار وتنبيه على سبيل التحذير والتخويف، فهو سبحانه ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) ﴾ [طه، آية: ٧].

والآية مرتبطة بما قبلها وبالسياق والمحور العام ارتباطاً وثيقاً[٢]؛ لأن الآية السابقة تتحدث عن تحريم موالاة الكافرين إلا أن يكون ذلك على سبيل التقية خشية الضرر، وهذا أمر يقدّر بقدره وهو يتعلق بالسرائر، فجاءت هذه الآية للتنبيه على إحاطة علم الله تعالى بما في الصدور، وكمال قدرته على المؤاخذة على ذلك.

كما أن الآية مرتبطة بالسياق والمحور العام ارتباطاً وثيقاً كذلك، فالسياق في الحوار مع النصارى الذين يخفون كثيراً مما جاء في الكتب المقدسة، والآية هنا تنبه على إحاطة علم الله تعالى بما يخفون وما يبدون، وبكل ما في السموات وما في الأرض.

وقدم الإخفاء على الإبداء هنا فقال تعالى ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ ، لأن المقام مقام محاورة مع أهل الكتاب من يهود ونصارى – حيث بدأت الآية بقوله تعالى ﴿ قُلْ ﴾ –، وهم قد أخفوا كثيراً مما أنزل الله عليهم من الكتاب، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [المائدة، آية: ١٥]، ولذا استخدم لفظة العلم فقال ﴿ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

أما في سورة البقرة فقدم الإبداء على الإخفاء فقال تعالى ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ [البقرة، آية: ٢٨٤]، لأن السياق هناك يتحدث عن أنواع من المعاملات بين البشر من أنواع الإنفاق والقروض وتحريم الربا وكتابة الدين والرهن وختمت الآيات بتحريم كتمان الشهادة، والمعاملات بين البشر تقوم عادة على الإبداء وليس على الإخفاء[١].

ثم قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) ﴾، وهذه الآية مرتبطة بالتحذير المذكور سابقاً في السياق من الحشر والحساب والجزاء، والتحذير من عذاب الله وغضبه، وكون المصير إلى الله، فبيّن ما يكون حينئذ، من الحسرة والندامة وتمني المستحيل. والتحذير في هذه الآية يمكن أن يكون تكراراً للتحذير السابق، زيادة في التأكيد والتهديد والوعيد[٢]، ويمكن أن يكون الأول تحذيراً من موالاة الكافرين، والثاني تحذيراً من أن يجدوا يوم القيامة ما عملوا من سوء محضراً[٣]. والتخويف الثاني موجه للمؤمنين بدلالة قوله تعالى في آخر الآية: ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) ﴾ ، قال الحسن البصري: من رأفته بهم حذّرهم نفسه[٤].



(30)	لَمَّا أخبَر اللّه تعالى عن عِلمه وقُدرته، وفي ضِمنه الإخبارُ بما هو لازمُ ذلك من المجازاةِ على الأعمال، أخبَر عن مَحلِّ ذلك، وهو يومُ القيامة، الَّذي تُوفَّى فيه كلُّ نُفْسٍ ما كسبتْ ؛ فلهذا قال: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا
(31)	لَمَّا نهى اللّه سبحانه وتعالى عن مُوالاةِ الكفَّار ظاهرًا وباطنًا، وكان الإنسانُ ربَّما والَى الكافرَ وهو يدَّعي محبَّةَ اللّه سبحانه وتعالى، وختَم برأفتِه سبحانه وتعالى بعبادِه، وكانت الرَّأفةُ قد تكونُ عن المحبَّة الموجبة للقُرب، فكان الإخبارُ بها ربَّما دعا إلى الاتِّكال، ووقَع لأجلِه الاشتباهُ في الحِزبَين، جعَل لذلك سبحانه وتعالى علامةً ، فقال : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي *لما ذكر محل الجزاء ذكر طريق النجاة في هذا اليوم (الاتباع والطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم) *لما نهى عن موالاة الكافرين ذكر موالاته وطريق الوصول إليها.
(32)	بيان وتفسير لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

الجزء الثالث — سورة آل عمران ٣

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ

٣٠←(٣)←٣٢

لَمَّا أخبَر اللهُ أنه يعلمُ كلَّ شيءٍ ما نخفي وما نعلنُ ويجازي عليه، ذَكَرَ هنا موعدَ هذه المجازاةِ وهو يومُ القيامةِ، ثُمَّ بيانُ أن دليلَ محبةِ اللهِ هو اتباعُ الرسولِ ﷺ.



المقطع الثاني: اصطفاء اللّه تعالى لرسله عليهم السلام[٣٣-٤٤]

مناسبة هذا المقطع لمحور السورة:

هذا المقطع يتناسب مع محور السورة الذي هو توحيد الله تعالى، حيث تناول هذا المقطع اصطفاء الله تعالى لأنبيائه، ووحدة دينهم ودعوتهم، وفيه بيان أن قدسية هؤلاء وتكريمهم إنما هو باصطفاء الله واختياره لهم، وما يجري لهم من كرامات ومعجزات إنما هو من عند الله تعالى، ولا دخل لأشخاصهم فيه.

(33)	**لَمَّا بيَّن سبحانه وتعالى أنَّ محبَّته منُوطة باتِّباع الرَّسول، فمَن اتَّبعه كان صادِقًا في دعْوى حبِّه لله، وجَديرًا بأنْ يكونَ محبوبًا منه- جلَّ علاه- أتْبع ذلك ذِكرَ مَن أحبَّهم واصطفاهم، وجَعَل منهم الرُّسلَ الَّذين يُبيِّنون طريقَ محبَّتِه، وهي الإيمانُ به مع طاعته ، فقال : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) -المحرر-**
(34)	**لما ذكر اللّه هذه البيوت التي هي صفوته من العالمين بين تسلسل الصلاح والتوفيق بذرياتهم.**
(35)	**ولما ذكر فضائل هذه البيوت الكريمة ذكر ما جرى لمريم والدة عيسى وكيف لطف اللّه بها في تربيتها ونشأتها – السعدي-**

يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ
مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ
ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ
وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ
مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا
وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ
وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا
زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ
قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧

٣٠←(٣)←٣٢
لَمَّا أخبَرَ اللهُ أنه يعلمُ كلَّ شيءٍ ما نخفي وما نعلنُ ويجازي عليه، ذَكَرَ هنا موعدَ هذه المجازاةِ وهو يومُ القيامةِ، ثُمَّ بيانُ أن دليلَ محبةِ اللهِ هو اتباعُ الرسولِ ﷺ.

٣٣←(٥)←٣٧
بدايةُ الحديثِ عن آلِ عمرانَ بقصَّةِ امرأةِ عمرانَ ونذرِها ما في بطنِها لخدمةِ بيتِ المقدسِ، ثُمَّ ولادةُ مريمَ، وكفالةُ زكريا عليه السلام لها، وما أكرمَها اللهُ به من رزقٍ بغيرِ سعيٍ منها.

٣٥- ﴿نَذَرۡتُ لَكَ﴾: جعلتُ لك، ﴿مُحَرَّرٗا﴾: خالصًا لخدمة بيت المقدس، ٣٦- ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: المرجوم المبعد من رحمة الله، ﴿أُعِيذُهَا﴾: أحصنها، ٣٧- ﴿ٱلۡمِحۡرَابَ﴾: مكان العبادة.

(٣٠) كم من كلمةٍ يودُّ صاحبُها غدًا ﴿لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾. (٣١) ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ اتباعُ سنةِ النبي ﷺ الصحيحةِ هو الطريقُ الوحيدُ لنيل محبة الله تعالى. (٣٧) ﴿(كُلَّمَا) دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا (ٱلۡمِحۡرَابَ) وَجَدَ عِندَهَا (رِزۡقٗا)﴾ أرزاق المحراب لا تنقطع.

٣٠: آل عمران [٢٨].

(38) لَمَّا رأى زكريَّا عليه السَّلام ما منَّ اللّه سبحانه به على مريمَ، وما أكرمَها به من رزقه الهَنِيء الَّذي أتاها بغيرِ سعيٍ منها ولا كسبٍ، طمعتْ نفسُه بالولدِ مع كونه شيخًا كبيرًا قد وهَن عَظمُه، واشتعلَ رأسه شيبًا، وكانتِ امرأتُه مع ذلك كبيرةً وعاقرًا قال تعالى:هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّه

(40) لَمَّا سمِع زكريَّا عليه السَّلام البِشارةَ بوجود الولد، أخَذ يتعجَّبُ من كمال قدرةِ اللّه (قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ)

(41) وفيه مناسبة عجيبة؛ وهي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجدها بدون أسبابها؛ ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره

42 س: ما سبب اصطفاء اللّه لمريم بنت عمران؟

اختارها لكثرة عبادتها، وزهادتها، وشرفها، وطهارتها من الأكدار والوساوس. -

ابن كثير-

(43) لَمَّا كان في هذا الاصطفاءِ والتَّطهير لمريمَ من النِّعمة العظيمة، والمِنحةِ الجَسيمةِ، ما يُوجِب لها القيامَ بشُكرها، قالت لها الملائكةُ : (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) - التفسير المحرر-

- فلما أخبرتها الملائكة باصطفاء اللّه إياها وتطهيرها، كان في هذا من النعمة العظيمة والمنحة الجسيمة ما يوجب لها القيام بشكرها، فلهذا قالت لها الملائكة: { يا مريم اقنتي لربك }. -السعدي-

(44) ولما أخبر اللّه نبيه بما أخبر به عن مريم، وكيف تنقلت بها الأحوال التي قيضها اللّه لها، وكان هذا من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا بالوحي. قال { ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم } – السعدي-

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

٣٨←(٤)←٤١
لمَّا رأى زكريا عليه السلام رزقَ اللهِ لمريمَ بغيرِ سعيٍ منها طمعَتْ نفسُه في الولدِ فدعا ربَّه، فبشَّرَتْه الملائكةُ بيحيى عليه السلام، وطلبَ علامةً تدلُّ على الحملِ، فكانتِ الآيةُ عدمَ استطاعتِه النطقَ بلا مرضٍ أو عِلَّةٍ.

٤٢←(٥)←٤٦
بعدَ قصَّةِ ولادةِ يحيى عليه السلام من أبٍ كبيرٍ وأمٍّ عاقرٍ وهذا شيءٌ غريبٌ، ذكرَ اللهُ هنا قصَّةَ مريمَ وبشرى الملائكةِ لها بولادةِ عيسى عليه السلام من غيرِ أبٍ وهذا شيءٌ أغربُ.

٣٩- ﴿وَحَصُورًا﴾: لا يقربُ الذُّنوبَ والشهواتِ تعفُّفًا، ٤١- ﴿رَمْزًا﴾: إشارة، ٤٤- ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾: يطرحون سهامَهم للاقتراع.

(٣٨) ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ الصالحون يفرحون عند رؤية النعم على غيرهم ويتفاءلون بها، بينما يتألم الحاسدون.

(٤٤) ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ في المجتمع الصالح يزدحم الناس على التطوع، حتى يحتاجون للقرعة.

٤٠: مريم [٨]، ٤٠: آل عمران [٤٧]، ٤١: مريم [١٠]، ٤١: غافر [٥٥]، ٤٢: آل عمران [٤٥]، ٤٤: يوسف [١٠٢].

المقطع الثالث: بيان حقيقه عيسى عليه السلام[٤٥-٦٣]

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

٥٥

مناسبة هذا المقطع لمحور السورة:

هذا المقطع مناسب لمحور السورة، ففيه بيان حقيقة عيسى عليه السلام والأصل البشري له، وبيان أن خلقه غير المعتاد ليس دليلاً على أنه إله أو ابن إله، فخلق آدم عليه السلام أغرب وأعجب.

(47)	**ولما اخبر الله تعالى مريم عليها السلام بما سيكون منها، من ولد بغير زوج؛تعجبت من ذلك، و (قَالَتْ رَبِّ) فخاطبت ربها تعالى، ولم تخاطب الملائكة الذين اخبروها. (أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ) اي: كيف يوجد هذا الولد مني؟ -المنجد-**
(51)	**لَمَّا أمَرَهم بتقوى الله ذَكَر ما هو كالسَّببِ في ذلك، فقال: (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) -المحرر-**
(52)	**لما ذكر الله تعالى بشارة الملائكة لمريم بعيسى عليه السلام، ومنزلته، وشيئا من آياته؛ ذكر بعد ذلك خبره مع قومه، ما لقيه منهم من الصد و الاعراض. -المنجد-**

الجزء الثالث — سورة آل عمران ٣

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

٤٧←(٣)←٤٩
بعدَ ذكرِ بشرى الملائكةِ لمريمَ بعيسى عليه السلام، وردَ هنا تعجُّبُها: كيف يكونُ لي ولدٌ وليس لي زوجٌ؟! والردُّ عليها، ثُمَّ بيانُ لبعضِ خصائصِ عيسى عليه السلام وما أيَّدَهُ اللهُ به من معجزاتٍ.

٥٠←(٤)←٥٣
بعدَ ذكرِ معجزاتِ عيسى عليه السلام، ذكرَ هنا أنَّه لم يلغِ التوراةَ، بل كان مُصدِّقًا لِما جاءَ فيها، وأنه دعا قومَه لعبادةِ اللهِ فآمنَ به بعضُهم وأعرضَ الآخرونَ.

٥٦

٤٩- ﴿الْأَكْمَهَ﴾: مَن وُلد أعمى. ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾: البرص بياض يصيب الجلد. ٥٢- ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾: أصفياء عيسى عليه السلام.

(٤٩) لو تأملت في استسقاء موسى عليه السلام لقومه، ودعاء إبراهيم عليه السلام لأهل مكة بالأمن والرزق، وعلاج عيسى عليه السلام للأكمه والأبرص لعلمت أنّ على الدُّعاة أن يحرصوا على إصلاح دُنيا النّاس مع حرصهم على دينهم.

(٥٢) ﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾ عندما تشتدُّ عليك الأمور ابحث عن الرّفيق الصّادق.

٤٧: آل عمران [٤٠]، ٤٩: المائدة [١١٠]، ٥١: مريم [٣٦]، الزخرف [٦٤].

"ولما كان استبعادها لمطلق الحبل لا بِقَيْد كونه ذَكراً كما في قصة زكريا قالت (ولد)، وقالت (ولم يمسسني بشر) لِفَهْمِهَا ذلك مِنْ نِسْبَتِه إليها فقط." البقاعي

47- والاستفهامُ للإنكار والتعجُّب، أو للاستبعادِ، أو استفهامٌ عن أنَّه يكون بتزوُّج أو غيره ؛ ولذلك أُجيب بجوابين؛ أحدهما: كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ؛ لرفْع إنكارها، والثاني: إِذَا قَضَى أَمْرًا... لرفْع تعجُّبها.



الاتباع:علامة محبة الله 31, اتباع الحوارين, مخالفة أمر واحد أدى للهزيمة في غزوة أحد وراجع الإتباع في سورة البقرة

الآية	التفسير
(53)	*ولما أشهد الحواريون نبيهم عيسى –عليه السلام- على إيمانهم وإسلامهم؛تضرعوا إلى الله تعالى,قائلين: (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ)على نبينا,من كتابك الانجيل,وما سبق من الكتب. -المنجد-
(54)	*فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله وإقامة شرعه آمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فاقتتلت الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين فلهذا قال تعالى هنا { ومكروا }. -السعدي-
(56)	* ثم أخبر عن حكمه بينهم بالقسط والعدل فقال. -السعدي- ** لمّا ذكر سابقًا: [ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[55]بيّن هنا مفصلا ذلك الاختلاف: إمّا كافر و إمّا مؤمن.
(57)	*ثم بين سبحانه حسن جزائه للمؤمنين. - المنجد-
58	بعد المنة بتوفية الأجور ذكر المنة بالكتاب
(59)	*ولما كانت هذه السورة العظيمة قد نزل أولها في شأن نصارى نجران، الذين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهم يعتقدون أن عيسى –عليه السلام- ابن الله، وكانت شبهتهم في هذا أنه ولد بلا أب : جاءت الآيات في هذه السورة تفند شبههم وتبين لهم أمر عيسى عليه السلام وأن خلقه بلا أب لا يوجب أن يكون ابنا لله، كما أن خلق ادم -عليه السلام -بلا أب ولا أم لا يخرجه عن كونه عبدا مخلوقا لله. - المنجد-
(60)	ثم أكد عز وجل ما أخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم ونهاه – بعد ما جاءه البيان- عن الشك مهما كانت شبهات النصارى
(61)	بم أمر الله تعالى نبيه أن يفعل مع من ليس في مجادلته فائدة؟ أمر الله نبيه أن ينتقل إلى مباهلته وملاعنته. -السعدي-

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْءَايَٰتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

٥٧

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

قرأنا عجبا

المقطع الرابع: حقيقة تاريخية هي أن الإسلام هو الدين الحق وهو دين جميع الأنبياء، وهم أولاد علات[٦٤-٩٩]

الموضوع الأول: إبراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما[٦٤ -٦٨]

مناسبة المقطع لسابقه:

بعد أن ذكر الله تعالى اصطفاء من شاء من عباده، وذكر أنهم ذرية بعضها من بعض، شرع هنا في بيان وحدة الدين الذي جاءوا به وهو الإسلام، وأنه دين جميع الأنبياء، وتأكيد إسلام إبراهيم عليه السلام، والصلة الوثيقة بينه وبين أمة الإسلام، وبين دينه ودين الإسلام.

وبعد بيان حقائق تاريخية حول إبراهيم عليه السلام، وتكذيب أهل الكتاب في دعواهم الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام وملته الحنيفية، تنتقل الآيات إلى الحديث عن أهل الكتاب مبينة حقائق عنهم تتعلق بضلالهم وإضلالهم ومحاولاتهم ردّ أتباع إبراهيم الخليل عليه السلام -وهم المسلمون- عن دينهم عبر وسائل مختلفة ملتوية، حسداً من عند أنفسهم لأن الله اختص هذه الأمة بالرسالة الخاتمة. فتتحدث الآيات عن مكائدهم، وتزويرهم للحقائق وتزويرهم لكلام الله وعهده، وقولهم على مريم وعيسى عليهما السلام الكذب. ثم أكدت الآيات وحدة الرسالات، والدين الحق، الذي هو الإسلام، وتأكيد صلة المسلمين بإبراهيم عليه السلام، وافتراء أهل الكتاب في دعواهم أنه منهم، وتذكر دليلاً مشاهداً ماثلاً للعيان على صدق المسلمين وكذب أهل الكتاب المدّعين، وهو البيت الحرام بمكة المكرمة.

وهذا المقطع هو ختام القسم الأول من السورة الكريمة، وهو القسم الذي يتناول نقاش أهل الكتاب ومحاجّتهم.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ

٦٤←(٣)→٦٦

لَمَّا امتنعُوا عن المباهلةِ أمَرَ اللهُ نبيَّه ﷺ أن يدعوهم إلى توحيدِ اللهِ، ثُمَّ الإنكارُ عليهم تنازعُهم في إبراهيمَ عليه السلام وقولُهم هو يهوديٌ أو نصرانيٌ رغم بُعدِ المدَّةِ بينَهم وبينَهُ.

- سبحانه ما أرحمَه بعباده؛ يجادل فريقٌ من أهل الكتاب في الحقِّ، ويَنكُلون عن المُباهلة، وهو يدعوهم إلى الهداية ويرغِّبهم في الإيمان!
- لا تكترث بأيِّ دعوةٍ للمقاربة بين الإسلام ودين أهل الكتاب؛ ليست الغايةُ منها إقامةَ التوحيد، ونبذَ الشِّرك، واتِّباعَ الحق، وإن زخرفوها بالقول وجمَّلوها بالكلام.

(64)	*لَمَّا نَكَصَ أهلُ الكتاب عن المباهلة بعد أنْ أَوْرَدَ عليهم أنواع الحُجج فانقطعوا، فلم تبقَ لهم شُبهةٌ، وقَبِلوا الصَّغار والجزية، وكان صلَّى اللّه عليه وسلَّمَ حريصًا على هداية الخَلق- أمَره اللّه تعالى أن يقومَ بتكرير دَعوتهم، وإرشادِهم بطريقٍ أخفَّ ممَّا مضى، بأنْ يُؤْنِسَهم فيما يدعوهم إليه بالمؤاساةِ، فيدعو دُعاءً يشملُ المحاجِّين من النَّصارى وغيرِهم- ممَّن له كتابٌ من اليهود وغيرهم- إلى الكلمةِ الَّتي قامت البراهين على حقيَّتها، ونهضت الدَّلائل على صِدقها، على وجهٍ يتضمَّن نفْيَ ما قد يُتخَيَّلُ من إرادة التفضُّل عليهم والاختصاصِ بأمرٍ دونهم؛ وذلك أنَّه بدأ بمباشرةِ ما دعاهم إليه، ورَضِيَ لهم ما رَضِيَ لنفْسه، وما اجتمعتْ عليه الكتُبُ، واتَّفقت عليه الرُّسلُ فقال تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) -المحرر- **ولما بين اللّه تعالى حال عيسى -عليه السلام-، ودعا الناس إلى التوحيد و الإسلام، وأمر نبيه(صلى اللّه عليه وسلم) بدعوة أهل الكتاب إلى المباهلة -بعد ظهور عنادهم-: أمر عزوجل نبيه(صلى اللّه عليه وسلم) بدعوتهم إلى أمر عدل، وسواء بين الفريقين؛ وهو العودة إلى أصل الدين. -المنجد-

(65) ولما حصلت المجادلة و المحاجة في شأن ابراهيم- عليه السلام -وهو أبو الانبياء- وحاول كل فريق من اليهود و النصارى أن يدعيه وينسبه إليه، وزعم أنه كان منهم، أو حاول أن ينتسب اليه في الملة و الدين: أنكر الله تعالى عليهم، وأبطل ادعاءاتهم ومزاعمهم. - المنجد-

إذا كان أهل الكتاب قد أخطاؤوا في حقيقة عيسى قريب العهد بهم ← فمن باب أولى أن يخطؤوا فيما نسبوه لإبراهيم وهو بعيد العهد بهم.

{ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 68]

- الانتماء الحقُّ إنما يكون للدين الحقِّ، به تجتمع الأجيالُ المسلمة من وراء حدود الزمان والمكان، ومن وراء فواصل الدَّم والنسَب، والقوم والجنس، فتزول العنصريَّة، ويضمحلُّ التعصُّب.

{ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } [آل عمران: 69]

- وراء كلِّ كيدٍ ودس، ومِراء وجدال، وتلبيس وتدليس، ورغبة قائمة على الهوى والحقد؛ نفسٌ خبيثة تودُّه، وقلبٌ خبيث يرغب فيه.
- إن كان أهل الباطل بباطلهم يعتزُّون، وإليه يدعون، ولأجله يبذلون، فإن منهجَك الحقَّ أولى بولائك، وأحقُّ بعطائك.
- مهما اجتهد المُبطلون في غَيِّهم، فسيكون جُهدهم حسرةً عليهم، ووَبالًا في عاجلهم وآجلهم.
- يظنُّ الضالُّ حين يُضلُّ غيرَه أنه يمكر به، ولا يدري أنه إنما يمكر بنفسه، ويجني عليها بما يُشقيها ولا يُرضيها.

تطبيق مصحف التدبر

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

٦٤ ←(٣)← ٦٦
لَمَّا امتنعُوا عن المباهلةِ أمَرَ اللهُ نبيَّه ﷺ أن يدعوهم إلى توحيدِ اللهِ، ثُمَّ الإنكارُ عليهم تنازعُهم في إبراهيمَ عليه السلام وقولُهم هو يهوديٌّ أو نصرانيٌّ رغم بُعدِ المدَّةِ بينَهم وبينَهُ.

٦٧ ←(٥)← ٧١
لمَّا وبَّخَهم على جهلِهم بَيَّنَ اللهُ هنا براءةَ إبراهيمَ عليه السلام من كلِّ دينٍ يخالفُ الإسلامَ، وبَيَّنَ أولَى النَّاسِ به، وحرصُ طائفةٍ من أهلِ الكتابِ على إضلالِ المؤمنينَ.

٦٤- ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ﴾: كلمة عدلٍ، وحقٍّ نلتزمُ بها، ٦٧- ﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الشرك قصدًا، ٦٨- ﴿وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: ناصرهم ووليُّ أمرهم.
(٦٣) ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ إذا رأيت فساد أهل الضلال قد استفحل، فتذكّر أنّ الله يعلم ذلك كلّه، وسيجازيهم عليه.
(٦٦) ﴿حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لا تحملك الخصومة على سلب حقّ تعرفه في خصمك.
(٦٧) العلم بالتاريخ طريقٌ لردّ كثير من الأقوال الباطلة.
٦٣: آل عمران [٨٢]، ٦٨: الجاثية [١٩]، ٦٩: البقرة [١٠٩]، ٧٠: آل عمران [٩٨].



الموضوع الثاني:مخاطبة فرق أهل الكتاب وبيان حقائقهم[٦٩-٨٠]

(69)	لما ذكر الله سابقًا موقفًا لأهل الكتاب وهو الإعراض عن الحق في قوله تعالى:" [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى), ذكر هنا موقفًا آخر وهو شدة حرصهم على إضلال المؤمنين._
(70)	لَمَّا ختَم الكلامَ فيهم بنَفْي شُعورِهم، بَيَّنَ تعالى في مَعرِضِ التبكيتِ أنَّ نفيهم عنه إنَّما هو لأنَّهم معانِدون، لا يَعملون بعِلمهم، بل يعَملون بخِلافه، فقال مستأنِفًا بما يدلُّ على غايةِ التبكيتِ المُؤْذِنة بشديد الغضب: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) -المحرر-

٦٧←(٥)→٧١

لمَّا وبَّخهم على جهلِهم بَيَّنَ اللهُ هنا براءةَ إبراهيم عليه السلام من كلِّ دينٍ يخالفُ الإسلامَ، وبَيَّنَ أولى النَّاسِ به، وحرصَ طائفةٍ من أهلِ الكتابِ على إضلالِ المؤمنين.

حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

٥٨

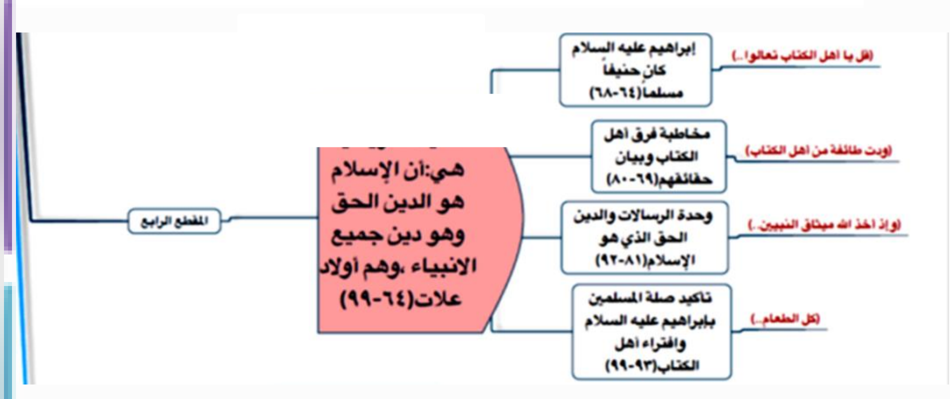
٦٤- ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾: كلمة عدلٍ، وحقٍّ نلتزمُ بها، ٦٧- ﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الشرك قصدًا، ٦٨- ﴿وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: ناصرهم ووليّ أمرهم.

(٦٣) ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ إذا رأيتَ فسادَ أهلِ الضلالِ قد استفحلَ، فتذكّرْ أنَّ الله يعلمُ ذلك كلَّه، وسيجازيهم عليه.

(٦٦) ﴿حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لا تحملكَ الخصومةُ على سلبِ حقٍّ تعرفُه في خصمِك.

(٦٧) العلمُ بالتاريخِ طريقٌ لردِّ كثيرٍ من الأقوالِ الباطلة.

٦٣: آل عمران [٨٢]، ٦٨: الجاثية [١٩]، ٦٩: البقرة [١٠٩]، ٧٠: آل عمران [٩٨].



لما حكم في شأن الخصوم الثلاثه في قضية إبراهيم عليه السلام بين حب اليهود لنشر الشر وإضلال المسلمين والدعوة إلى ذلك حسداً من عند أنفسهم. -المنجد-

رد اللّه تعالى على محاجة اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام بثلاثة أوجه

الوجه الأول:

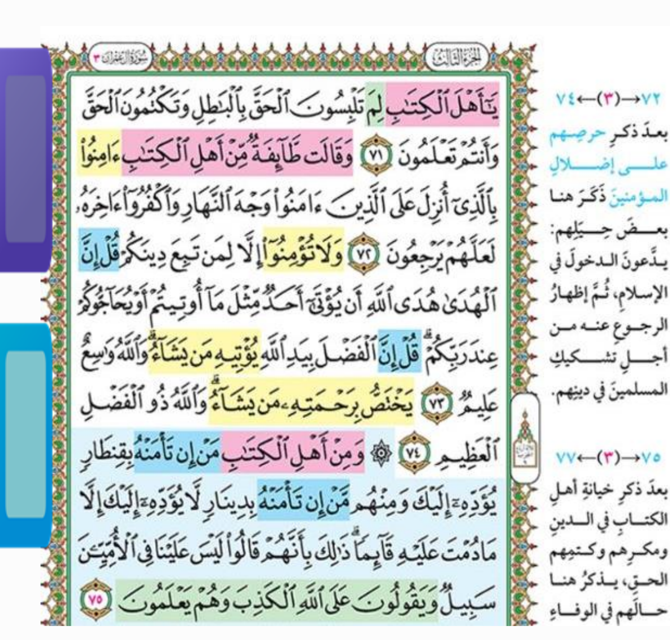
أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم

الوجه الثاني:

أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟! فلهذا قال { أفلا تعقلون }

الوجه الثالث:

أن اللّه تعالى برأ خليله من اليهود والنصارى والمشركين، وجعله حنيفا مسلما، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد صلى اللّه على وسلم ومن آمن معه، فهم الذين اتبعوه وهم أولى به من غيرهم



71	**بعد أن نهاهم عن ضلالهم وبخهم على اضلالهم الخلق. - السعدي-**
72	**- ثم أخبر تعالى عن ما همت به هذه الطائفة الخبيثة، وإرادة المكر بالمؤمنين، فقال.** - السعدي- **-اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم يلبسون الحق بالباطل, أردف ذلك بأن حكى عنهم نوعًا واحدًا من أنواع تلبيساتهم.**
	(والله ذو الفضل العظيم)74 الذي لا يصفه الواصفون ولا يخطر بقلب بشر، بل وصل فضله وإحسانه إلى ما وصل إليه علمه، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما. - السعدي- **لا اعتراضَ على اللّه في كونه يَختصّ برحمته شخصًا ويمنع رحمته آخرَ؛ لأنَّ الأمرَ إليه وهو فضلٌ؛ إنْ شاء أعطاه، وإنْ شاء منَعَه، كما قال تعالى: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.** -ابن عثيمين-
	73- صورة من الكتمان الذي ذكر في 71

(75)

تعلُّقُ هذه الآيةِ ومناسبتُها لِمَا قَبلَها من وجهين:

الأوَّل: أنَّه تعالى حكَى عنهم في الآية المتقدِّمة أنَّهم ادَّعوْا أنَّهم أُوتوا من المناصِب الدِّينيَّة، ما لم يُؤْتَ أحدٌ غيرهم مثله، ثمَّ إنَّه تعالى بيَّن أنَّ الخيانة مُسْتقبَحةٌ عند جميعِ أرباب الأديان، وهم مُصِرُّون عليها؛ فدلَّ هذا على كذبِهم.

والثاني: أنَّه تعالى لَمَّا حكَى عنهم في الآية المتقدِّمة قبائحَ أحوالهم فيما يتعلَّق بالأديان، وهو أنَّهم قالوا :وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ، حكَى في هذه الآيةِ بعضَ قبائحِ أحوالهم فيما يَتعلَّقُ بمعاملةِ النَّاس، وهو إصرارُهم على الخِيانةِ والظُّلم، وأخْذِ أموال النَّاس في القليل والكثير.

(وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) - المحرر-

**** ولما ذكر اللّه تعالي خيانة اليهود في الدين و العلم، ومكرهم وكتمانهم؛ ذكر خيانتهم في المال، وأن منهم الخائن و الأمين، وأنهم قسمان فقال: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) وهذا يشمل: اليهود و النصارى (مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ) اي: تودع عنده أمانه، وتجعله أمينا عليها (بِقِنْطَارٍ) وهو: المال الكثير الجزيل من الذهب (يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) اي: يرده اليك سالما من غير نقص و لا مماطلة، وهو على الأمانة فيها دون القنطار، من باب أولى. - المنجد-**

-عطف على قوله تعالى:" [وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ]69, وآية " [وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]72, لبيان أحوال اليهود في معاملة المسلمين الناشئة عن حسدهم وانحرافهم عن ملة ابراهيم.

- ***قال ابن الجوزي : فان قيل: لم خصَّ أهل الكتاب بأن فيهم خائناً وأميناً والخلق على ذلك، فالجواب: أنهم يخونون المسلمين استحلالاً لذلك، وقد بيَّنه في قوله تعالى (ليس علينا في الأمِّيِّين سبيل) فحذَّر منهم.**

٧٥←(٣)←٧٧

بعدَ ذكرِ خيانةِ أهلِ الكتابِ في الدينِ ومكرِهم وكتمِهم الحقَّ، يذكرُ هنا حالَهم في الوفاءِ والخيانةِ في الأموالِ، فمنهم الأمينُ ومنهم الخائنُ، ثُمَّ ذكرَ خيانتَهم العهدَ مع اللهِ وأيمانَهم الكاذبةَ.

ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

٧١- ﴿تَلْبِسُونَ﴾: تخلطون. ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: تخفون صفة محمد ﷺ في كتبكم. ٧٢- ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾: أوله. ٧٥- ﴿بِقِنطَارٍ﴾: المال الكثير ... ﴿ٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾: العرب؛ لأنهم أمة أمية. ٧٧- ﴿خَلَٰقَ﴾: نصيب.

(٧٥) ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ إحقاق الحق وبيان ما عند الخصم من صواب منهج إسلامي في إنصاف الخصوم.

(٧٦) ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ألا تحب أن يحبك خالق الأرض والسماوات؟

٧١: آل عمران [٩٩]، ٧٣: البقرة [٧٦]، ٧٤: البقرة [١٠٥]، ٧٧: البقرة [١٧٤].

سبب النزول:

قال عبدُ اللهِ رضي اللهُ عنه: مَن حلَف على يمينٍ يستَحِقُّ بها مالًا، وهو فيها فاجِرٌ، لقِيَ اللهَ وهو عليه غضبانُ. فأنزَل اللهُ تصديقَ ذلك: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا- فقرَأ إلى- عَذَابٌ أَلِيمٌ}. ثمَّ إنَّ الأشعَثَ بنَ قيسٍ خرَج إلينا فقال: ما يُحَدِّثُكم أبو عبدِ الرحمنِ؟ قال: فحدَّثْناه، قال: فقال: صدَق، لفِيَّ واللهِ أُنزِلَت، كانت بيني وبين رجلٍ خُصومةٌ في بئرٍ، فاختصَمْنا إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((شاهِداك أو يمينُه)). قلتُ: إنَّه إذنْ يحلِفُ ولا يُبالي، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((مَن حلَف على يمينٍ يَستحِقُّ بها مالًا، هو فيها فاجِرٌ، لقِيَ اللهَ وهو عليه غضبانُ)). فأنزَل اللهُ تصديقَ ذلك، ثمَّ اقترَأ هذه الآيةَ: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} فقرَأ إلى {عَذَابٌ أَلِيمٌ}. -رواه البخاري-

وورد أيضًا عن عبدِ اللهِ بن أبي أوْفَى رضِي اللهُ عنهما، أنَّ رجلًا أقامَ سِلْعةً، وهوَ في السُّوقِ، فحلَفَ باللهِ لقدْ أُعْطِيَ بهَا ما لم يُعْطَ؛ ليوقِعَ فيها رجلًا من المسلمين، فنزلَت: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا}. -رواه البخاري-

76	**س: ما المقصود بالعهد في قوله تعالى: [بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ]؟** **العهد يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع.** **س: إلى ما ترجع التقوى وما العلاقة بينها وبين الوفاء بالعهد؟** **التقوى ترجع إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، سواء كانوا من الأميين أو غيرهم، فمن قال ليس علينا في الأميين سبيل، فلم يوف بعهده ولم يتق الله، فلم يكن ممن يحبه الله، بل ممن يبغضه الله، وإذا كان الأميون قد عرفوا بوفاء العهود وبتقوى الله وعدم التجرئ على الأموال المحترمة، كانوا هم المحبوبين لله، المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وكانوا أفضل خلق الله وأجلهم، بخلاف الذين يقولون ليس علينا في الأميين سبيل**
77	***ولما مدح الله تعالى الذين يوفون بعهودهم؛ ذم خائني العهود؛ فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ) اي: يستبدلون (بِعَهْدِ اللَّهِ)؛ فهم يتخلون عن الله ويبيعونه، ف (الباء) تدخل على المتروك. -المنجد-** ****في تعلُّق هذه الآيةِ ومناسبتها لِمَا قبلها وجوهٌ:** **الأول: أنَّه تعالى لَمَّا وصَف اليهودَ بالخيانة في أموال النَّاس- ومِن المعلوم أنَّ الخيانةَ في أموال النَّاس لا تَتمشَّى إلَّا بالأَيْمان الكاذبة- لا جَرَمَ ذكَر عقيبَ تلك الآيةِ هذه الآيةَ المشتملةَ على وعيدِ مَن يُقْدِمُ على الأيمانِ الكاذبة.** **الثاني: أنَّه تعالى لَمَّا حكَى عنهم أنَّهم يقولون على الله الكذبَ وهم يعلمون- ولا شكَّ في أنَّ عهدَ الله على كل مُكَلَّفٍ أنْ لا يَكْذِبَ على الله، ولا يخونَ في دِينه- لا جرَم ذكَر هذا الوعيد عقيبَ ذلك.** **الثالث: أنَّه تعالى ذكَر في الآيةِ السابقةِ خيانتَهم في أموال النَّاس، ثمَّ ذكَر في هذه الآية خيانتَهم في عهْدِ الله، وخيانتَهم في تعظيمِ أسمائه حين يَحلِفون بها كذبًا.** **الرابع: أنَّ في خيانة الأمانة إبطالًا للعهد وللحلفِ الَّذي بينهم وبين المسلمين وقُريش.** **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)** ***[إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّـهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا]؟ يدخل فيه الذين يقولون ليس علينا في الأميين سبيل، ويدخل في ذلك كل من أخذ شيئا من الدنيا في مقابلة ما تركه من حق الله أو حق عباده، وكذلك من حلف على يمين يقتطع بها مال معصوم فهو داخل في هذه الآية.**

٨٠←(٣)→٧٨

لمَّا نَسبهم إلى الكذِب ذكرَ هنا نوعًا خاصًا منه وهو تحريفُ علماءِ أهلِ الكتابِ للتوراةِ والإنجيلِ، وكذِبهم على النّاسِ بنسبةِ تحريفِهم إلى الله، ثُمَّ بيانُ أنه يمتنعُ على بشرٍ آتاه اللهُ الكتابَ والنُّبوةَ أن يأمرَ النّاسَ بعبادتِه.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

(78)	-لَمَّا نسبَ اللّه فريقًا من أهل الكتاب إلى الكذِب عمومًا في قوله: {وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ}، نبّه إلى نوع خاصٍّ منه، هو أكذبُ الكذب، فقال: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ}. -البقاعي- - لَمَّا كان كلامُ اللّه سبحانه وتعالى لا يَلتبِس بغيره إلَّا على ضعيفِ العقل، ناقص الفِطرة، عبَّر بالحسبان؛ تنفيرًا عن السَّماع منهم، وتنبيهًا على بُعد ما يَسمَعُه الإنسان من غيره، فقال: {لِتَحْسَبُوهُ}. -البقاعي-
(79)	*ولما بين اللّه تعالى افتراء اليهود عليه، أردف ذلك بذكر افترائهم على أنبيائه، واثبات براءة الأنبياء؛ فقال: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ) أي: ينبغي ولا يليق. وانما سمي (بشرا)؛ لظهور بشرته وعدم -استتارها - بخلاف بشرة الدواب.-المنجد هذه الآية نزلت ردا لمن قال من أهل الكتاب للنبي صلى اللّه عليه وسلم لما أمرهم بالإيمان به ودعاهم إلى طاعته: أتريد يا محمد أن نعبدك مع اللّه. -السعدي-
(80)	*ولما ذكر اللّه تعالى أن النبي المرسل من عنده، لا يمكن أن يدعو قومه الى أن يعبدوه من دون اللّه، وانما يدعوهم الى أن يكونوا ربانيين، و الوسيلة لذلك هي: دراسة الكتاب و العمل به؛ ذكر تعالى ايضا أنه لا يمكن للنبي أن يأمر الناس بعبادة أحد مع اللّه.- المنجد- **لَمَّا نفَى اللّهُ تعالى أنْ يكون مَن آتاه اللّه النُّبوَّةَ مِن البشر داعيًا إلى نفْسه، وأثبت أنَّه يكون-ولا بدَّ- داعيًا إلى اللّه سبحانه وتعالى؛ أثبت أنَّ ذلك لا بدَّ أن يكون على وجهِ الإخلاص؛ لأنَّ بعضَ الشَّياطين يُحكِمُ مكره بإبعاد التُّهمة عن نفسه بالدُّعاء إلى غيرِه على وجهِ الشِّرْك، لا سيَّما إنْ كان ذلك الغيرُ ربانيًّا كعيسى عليه الصَّلاة والسَّلام فقال تعالى: (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاب) - المحرر-



الموضوع الثالث : وحدة الرسالات والدين الحق الذي هو الإسلام [٨١-٩٢]

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٦٠

٨١←(٣)←٨٣

بعدَ بيانِ كَذِبِ أهلِ الكتابِ وتحريفِهم للكتبِ، أخبرَ اللهُ هنا أنَّه أخذَ ميثاقَ النَّبيينَ أن يُصَدِّقَ بعضُهم بعضًا، فلماذا يُنكرُ أهلُ الكتابِ نبوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ؟! ثُمَّ بيَّنَ أنَّ الإسلامَ هو دينُ البشريةِ جميعًا.

٧٨- ﴿يَلْوُۥنَ﴾: يحرِّفون الكلام عن مواضعه، ٧٩- ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: ما ينبغي لبشر، ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: حكماء، فقهاء، معلمين، ﴿تَدْرُسُونَ﴾: تحفظون ألفاظ القرآن وتفقهون أحكامه، ٨١- ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾: أاعترفتم، ﴿إِصْرِى﴾: عهدي.

(٧٩) ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ الرباني هو العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه، ومن لم يعمل بعلمه فليس بعالم.

(٧٩) ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ تدارس كتاب الله هو سبيل الربانية.

٧٩: الشورى [٥١]، ٨١: آل عمران [١٨٧]، ٨٢: آل عمران [٦٣].

82	ثم ذكر حكم المعرض من هذا الميثاق
(83)	لَمَّا بيَّن اللّهُ تعالى في الآيةِ الأولى أنَّ الإيمانَ بمحمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام، شرعٌ شرَعه اللّه وأوجبَه على جميع مَن مضى من الأنبياء والأمم، لَزِمَ أنَّ كلَّ مَن كَرِهَ ذلك، فإنَّه يكون طالبًا دِينًا غير دِين اللّه ؛ فلهذا قال بعده : (أفغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ) -المحرر-

في أخْذ اللّهِ على النَّبيِّين الميثاقَ بالتكليفِ دليلٌ على أنَّهم مَرْبُوبون، مُتعبَّدون للّه عزَّ وجلَّ، كما أنَّ غيرهم كذلك. -ابن عثيمين

دل قوله تعالى: (فمن تولى بعد ذلك) العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من اللّه ومن رسله (فأولئك هم الفاسقون) على أن كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد صلى اللّه عليه وسلم

(84)	لما ذكر اللّه تعالى في الآية المتقدِّمة أنَّه إنَّما أخَذَ الميثاقَ على الأنبياء في الإيمان بالرَّسول الَّذي يأتي مصدِّقًا لِمَا معهم، بَيَّن في هذه الآية أنَّ مِن صِفة محمَّد صلَّى اللّه عليه وسلَّم كونَه مصدِّقًا لِمَا معهم ، فقال : قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ -المحرر- **-لا بد مع الاستسلام للّه تعالى وحده من التصديق بنبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة و السلام, و لهذا أمر اللّه تعالى النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يعلن هذه الحقيقة في وجوه أهل الكتاب . _
(85)	اعلم أنه تعالى لمّا قال في آخر الآية المتقدّمة:" وَنَحْنُ لَهُ مُسلِمُونَ"84, أتبعه بأن بيّن في هذه الآية أن الدين ليس إلّا الإسلام, وأن كل دين سوى الإسلام فإنه غير مقبول عند اللّه.
(86)	لَمَّا عظَّم اللّهُ تعالى أمْرَ الإسلام والإيمان بقوله: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)، أكَّد ذلك التعظيم بأنْ بيَّن كيف يَهْدِي اللّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ :وعيدَ مَن ترك الإسلام، -المحرر-
(90)	لَمَّا رغَّبَ في التوبة في قوله تعالى :(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، رهَّب من التواني عنها ،فقال :إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ... -المحرر-
(92)	لَمَّا بيَّن اللّهُ سُبحانَه في الآيةِ السابقةِ أنَّ الَّذين كفروا لن يُقبل من أحدِهم أعظمُ ما يُنفقه لتخليصِ نفْسِه في الآخِرة ممَّا يَلحَقه من الشدائد، حضَّ المؤمنين على الإنفاق، وبيَّن أنَّ الأحبَّ منه أجدرُ بالقَبول؛ وأنَّه يَبلُغ بصاحبه إلى مرتبة البرِّ ، فقال: (لنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) -المحرر-

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

٨٤←(٢)←٨٥
لمَّا ذكرَ ميثاقَ الأنبياءِ أن يؤمنُوا بمُحَمَّدٍ ﷺ أمرَ هنا مُحَمَّدًا ﷺ وأمَّتَه أن يؤمنُوا بجميعِ الأنبياءِ المتقدمينَ وبكتبِهم وبالإسلام الذي هو دينُ الأنبياءِ قاطبةً.

٨٦←(٧)←٩٢
بعدَ أن عظَّمَ اللهُ أمرَ الإسلامِ بَيَّنَ هنا وعيدَ من تركَ الإسلامَ، ثُمَّ ذكرَ أنواعَ الكفارِ من حيثُ التوبةِ:
١- من يتوبُ توبةً صحيحةً.
٢- من يتوبُ توبةً فاسدةً.
٣- من يموتُ على الكفرِ من غيرِ توبةٍ، =

٨٤- ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: نؤمن بهم جميعًا.
(٨٥) ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ... ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الدينُ الحقُّ الذي لا يقبلُ اللهُ من العبادِ غيرَه هو دينُ الإسلامِ.
(٨٩) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ بابُ التوبةِ لا يُقفَلُ أمام عاصٍ، مهما بالغ في الكفر أو المعاصي.
(٩١) لا يُنجي المرءَ يومَ القيامةِ إلا عملُه الصالحُ، وأمَّا المالُ فلا.
٨٤: البقرة [١٣٦]، ٨٦: آل عمران [١٠٥]، ٨٧: البقرة [١٦١]، ٨٨: البقرة [١٦٢]، ٨٩: النور [٥]، ٩٠: النساء [١٣٧]، ٩١: البقرة [١٦١].

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ

٩٣←(٥)←٩٧
=ثُمَّ ردَّ على شبهتينِ لأهلِ الكتابِ:

مناسبة هذا الموضوع لسابقه:

بعد أن رغّب الله تعالى في الإنفاق مما يحب الإنسان، ذكر كيف أن إسرائيل عليه السلام ترك أحبّ الطعام إليه لله سبحانه وتعالى، ففي الموضعين ترك ما يحبه الإنسان[١].

وأيضاً لما تقدم السياق في الردّ على النصارى في اعتقادهم في عيسى عليه السلام، شرع في الردّ على اليهود في إنكارهم النسخ، وذلك بذكر تحريم يعقوب عليه السلام لأحب الطعام والشراب إليه، ولم يكن قبل حراماً، ثم نزل تحريمه في التوراة بعد ذلك، وهذا من النسخ، ففيه ردّ عليهم في عدم اتباعهم لعيسى عليه السلام بدعوى إنكار النسخ، وكذلك في عدم اتباعهم لمحمد ﷺ[٢].

فالآيات المتقدمة في تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ، في توجيه الإلزامات الواردة على أهل الكتاب في هذا الباب، وأما هذه الآية فهي في بيان الجواب عن شبهات القوم، فإن ظاهر الآية يدل على أنه ﷺ كان يقول إن كل الطعام كان حلاً ثم صار البعض حراماً، والقوم نازعوه في ذلك وزعموا أن الذي هو الآن حرام كان حراماً أبداً[٣].

فالغرض من الآيات بيان أن محمداً صلوات الله عليه على دين إبراهيم عليه السلام في الفروع والأصول، أما في الفروع فلما ثبت أن الحكم بحله كان إبراهيم قد حكم بحله أيضاً، وأما في الأصول فلأن محمداً صلوات الله وسلامه عليه لا يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى وما كان إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه إلا على هذا الدين[٤]. ولما كان من أعظم شعائر ملة إبراهيم الحج، عقّب هنا بذكره، لبيان كذب اليهود والنصارى في دعواهم أنهم على دينه، وهم لا يحجون[١].



هناك عدد من المناسبات بين هذا المقطع بمواضيعه وبين محور السورة الرئيس وهو التوحيد؛ حيث تناول هذا المقطع بيان الدين الحق الذي جاء به جميع الأنبياء، وهو الإسلام القائم على التوحيد، كما تناول إسلام إبراهيم الخليل عليه السلام، وكذب أهل الكتاب في زعمهم أنهم على ملّته بسبب الشرك الذي عندهم، وتخلّل ذلك تحذير الكافرين من أهل الكتاب، ودعوات متكررة لهم إلى الدين الحق وعبادة الله تعالى، والرجوع عن كذبهم وافترائهم.

لاحظ تكرار لفظ آية ومشتقاتها في السورة

الموضوع الرابع: تأكيد صلة المسلمين بإبراهيم عليه السلام، وافتراء أهل الكتاب[٩٣- ٩٩]

الآية	التفسير
(93)	لَمَّا أخبر اللّهُ تعالى أنَّه لا يَنال المرءُ البرَّ إلا بالإنفاق ممَّا يحبُّ في قوله :لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ-فالمشروعُ في الإسلام هو الإنفاقُ في طاعةِ اللّه مما يُحِبُّه العبدُ ويَشتهيه؛ كما قال سبحانه :وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ] البقرة: 177[، وقال :وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ] الإنسان: 8 -[ذكَر سبحانه عقبَ ذلك أنَّ يعقوبَ عليه السَّلام، قد حرَّم أحبَّ الأشياءِ إليه وترَكها للّه تعالى- وكان هذا سائغًا في شَريعتهم- بجامعِ أنَّ كلًّا منهما فيه تركُ ما يحبُّه الإنسانُ وما يُؤثِرُه على سبيلِ التقرُّب به للّه سبحانَه وتعالى. (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوراة.) -المحرر-
(94)	لما استمروا بعد هذا على الظلم والعناد قال تعالى (فمن افترى)-السعدي-
(95)	لما قامت الآيات البينات المتنوعات على صدق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وصدق من نبأه وأخبره بما أخبره به من الأمور التي لا يعلمها إلا بإخبار ربه له بها . -السعدي-
(96)	-ولما أمرهم باتباع ملة إبراهيم في التوحيد وترك الشرك أمرهم باتباعه بتعظيم بيته الحرام بالحج وغيره،
(97)	لَمَّا أمَرهم اللّه تعالى باتِّباع مِلَّةِ إبراهيمَ في التَّوحيد وترْكِ الشِّرك، أمَرهم باتِّباعه بتعظيمِ البيتِ الحرام بالحجِّ وغيره؛ فحجُّ البيتِ من أعظم شعائر مِلَّةِ إبراهيمَ ومِن خصوصيَّات دِينه، وأيضًا فإنَّ اليهود حين حُوِّلت القِبْلةُ إلى الكعبة طعَنوا في نُبوَّة رسول اللّه صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ، وقالوا: بيتُ المقدِس أفضلُ وأحقُّ بالاستقبال؛ لأنَّه وُضِع قَبْل الكعبة، وهو أرضُ المحشر، وقِبْلةُ جميعِ الأنبياء، فأكْذَبهم اللّه في ذلك بقوله :(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) -المحرر-

الجزء الرابع — سورة آل عمران ٣

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ

٩٣←(٥)←٩٧

=ثُمَّ ردَّ على شبهتينِ لأهلِ الكتابِ: قولُهم له ﷺ إنَّك تدّعي أنَّك على ملّةِ إبراهيمَ وذريتِه فكيف تستحلُّ ما كان محرّمًا عندهم من الطعامِ كلحومِ الإبلِ وألبانِها؟ وكانُوا يُصَلُّونَ إلى بيتِ المقدسِ فلو كنتَ على مِلَّتهم لَمَا تحوَّلتَ عنه إلى الكعبةِ.

٩٨←(٣)←١٠٠



(5)

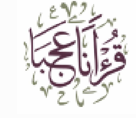
الأمن الحاصل لداخله

ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه
بقوله { وطهر بيتي } لكفى بهذه الإضافة فضلا وشرفا،
وهذه الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه

تفسير السعدي

إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) آل عمران

أكد اللّه-عز وجل- على وجوب الحج بعشر أوجه .



(1) أنه قدم اسمه تعالى

(2)أدخل على اسمه لام الاستحقاق والاختصاص

(3) ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العموم الداخلة عليها حرف على

(4)أبدل منه أهل الاستطاعة

(5)ثم نكر السبيل في سياق الشرط إيذانا بأنه يجب الحج على أي: سبيل تيسرت، من قوت أو مال

(6) فعلق الوجوب بحصول ما يسمى سبيلا

(7) ثم أتبع ذلك بأعظم التهديد بالكفر فقال { ومن كفر } أي: لعدم التزامه هذا الواجب وتركه

(8)ثم عظم الشأن وأكد الوعيد بإخباره ما يستغنى به عنه، واللّه تعالى هو الغني الحميد، ولا حاجة به إلى حج أحد، وإنما في ذكر استغنائه عنه هنا من الإعلام بمقته له وسخطه عليه وإعراضه بوجهه عنه ما هو أعظم التهديد وأبلغه

(9) ثم أكد ذلك بذكر اسم "العالمين" عموما، ولم يقل: فإن اللّه غني عنه، لأنه إذا كان غنيا عن العالمين كلهم فله الغنى الكامل التام من كل وجه بكل اعتبار، فكان أدل لعظم مقته لتارك حقه الذي أوجبه عليه،

(10) ثم أكد هذا المعنى بأداة "إن" الدالة على التأكيد

تفسير السعدي



الآية	التفسير
(98)	لما أقام فيما تقدم في قوله تعالى:" فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ " الحجج على أهل الكتاب مع أنهم قبل ذلك يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم،كما يعرفون أبناءهم ، وبخ المعاندين منهم بكفرهم بآيات الله وصدهم الخلق عن سبيل الله ، لأن عوامهم تبع لعلمائهم ، والله تعالى يعلم أحوالهم وسيجازيهم على ذلك أتم الجزاء
(99)	لَمَّا أمَر اللهُ تعالى نبيَّه محمداً صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بتوبيخ أهلِ الكتابِ على كُفْرهم القاصِر عليهم، أمَرَه أيضًا بتوبيخِهم على عُدوانهم على الغير، بصدِّهم عن الإيمان ، فقال تعالى :(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ) -المحرر-

﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟
فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

٦٢

٩٨←(٣)←١٠٠
بعد الردِّ على شبهاتهم يأمرُ اللهُ نبيَّه ﷺ بتوبيخِهم وتهديدِهم لإصرارِهم على الكفرِ، وصدِّهم عن سبيلِ اللهِ، ثُمَّ يحذِّرُ المؤمنينَ من طاعتِهم.

٩٢- ﴿إسرائيل﴾: هو نبيُّ الله يعقوبُ بنُ إسحاق عليهما السلام، ٩٦- ﴿ببكة﴾: بمكة، ٩٧- ﴿مقام إبراهيم﴾: الحجرُ الذي كان يقفُ عليه حين كان يرفعُ القواعدَ من البيت، ٩٩- ﴿تبغونها عوجا﴾: تريدونها مائلةً معوجةً.

(٩٢) ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ اعملْ بهذه الآيةِ ولو مرةً، إذا أعجبك شيءٌ من مالك تصدَّقْ به لعلك تنالُ هذا البرّ.

(٩٧) ﴿... حج البيت...﴾ وجوبُ الحجِّ على كلِّ مسلمٍ عاقلٍ بالغٍ قادرٍ.

٩٨: آل عمران [٧٠]، ٩٩: آل عمران [٧١]، الأعراف [٨٦]، ١٠٠: آل عمران [١٤٩].

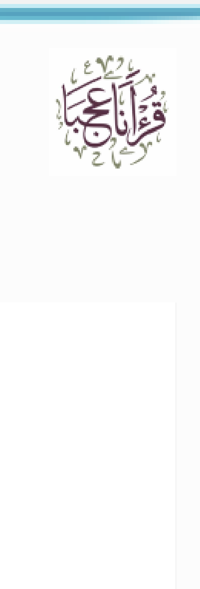
المقطع الخامس: بيان خيرية هذه الأمة وتحذيرها من الوقوع في أخطاء الأمم السابقة، وتحذيرها من أعدائها[١٠٠- ١٢٠]

مناسبة هذا المقطع لمحور السورة:

يتناسب هذا المقطع مع محور السورة العام وهو التوحيد؛ لأن الأمة المؤمنة بالله تعالى هي خير الأمم، وهذه الخيرية مشروطة بالإيمان والدعوة إليه والاستقامة عليه، والتوحيد هو أساس الإيمان بالله تعالى. كما تناولت الآيات مواضيع متعلقة بهذه المناسبة، مثل التحذير من الأعداء ومن طاعتهم وموالاتهم، والتحذير من أعداء الداخل من المنافقين، والتنبيه إلى أن الحساب والجزاء يكونان يوم القيامة، عندما يرجع الناس لرب العالمين.

مناسبة المقطع لسابقه:

بعد أن ناقش القرآن الكريم شبهات أهل الكتاب، وفضح كذبهم وافتراءهم على الله تعالى، وبيّن تعمدهم لبس الحق بالباطل وكتمان الحق عمداً، وخيانة الأمانة، انتقل إلى تحذير المسلمين من الوقوع في أخطائهم، وجاء هذا التحذير بطرق مختلفة، صريحة وباطنة؛ فمن ذلك أنه حذّر المسلمين من طاعة أهل الكتاب لئلا يردوهم عن دينهم، كما دعا القرآن الكريم المسلمين إلى الاعتصام وعدم التفرق، وحذّرهم من الاختلاف بعد نزول القرآن الكريم كما تفرقت واختلفت الأمم السابقة بعد ما جاءهم البينات وقامت عليهم الحجج والبراهين، ثم ذكر تفرّق الناس يوم القيامة إلى أهل العذاب وأهل الرحمة، وفيه إشارة إلى الابتعاد عن أفعال أهل العذاب الذين ذكرهم قبلها وتوعدهم بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. ثم أمر الأمة بتحمّل مسؤولياتها بعد اختيارها لتكون خاتمة الأمم وخير أمة أخرجت للناس، وكرر تحذيرها من الوقوع في أخطاء الأمم السابقة، ومن الخوف من أعدائهم من أهل الكتاب خاصة، ومن العدو عامة، ثم حذّرها من المنافقين خصوصاً، وأمرهم بالصبر والتقوى للتخلص من أخطار الأعداء والمنافقين وكيدهم.



المقطع الخامس

بيان خيرية هذه الأمة،وتحذيرها من الوقوع في أخطاء الأمم السابقة،وتحذيرها من أعدائها(١٠٠-١٢٠)

- التحذير من الوقوع في أخطاء السابقين(١٠٠-١٠٩) — (يا أيها الذين امنوا إن تطيعوا فريقاً..)
- خيرية الأمة وفضلها على سائر الأمم(١١٠-١١٥) — (كنتم خير أمة..)
- تحذير الأمة من المنافقين خصوصاً (١١٦-١٢٠) — (إن الذين كفروا لن تغني عنهم..)

المقطع الخامس:
الموضوع الأول:التحذير من الوقوع في أخطاء السابقين

مناسبة المقطع لسابقه:
بعد مناقشة شبهات أهل الكتاب وفضحهم،حذر المسلمين من الوقوع في أخطائهم بطرق:

- صريحة
  - طاعتهم
  - الإعتصام
  - عدم الإختلاف
  - عدم الخوف من أعدائهم (لن يضروكم)
    - عموماً: (إن الذين كفروا) آية(١١٦)
    - خصوصاً:
      - أهل الكتاب
      - المنافقين
- باطنة
  - ذكر تفرق الناس يوم القيامة إلى:
    - أهل العذاب
    - أهل الرحمة

الموضوع الأول: التحذير من الوقوع في أخطاء السابقين [١٠٠-١٠٩]

(100)	أنَّ اللّه تعالى لَمَّا وبَّخ أهلَ الكتاب على كُفْرهم وصدِّهم عن سبيل اللّه- وهو الإسلام- وتَمَّ إيذانُه بالسَّخَط على أعدائِه وأبلَغَ في إنذارهم عظيمَ انتقامِه إنْ داموا على إضلالِهم، وذلك إثْرَ إقامة الحُجَج عليهم وإزالة شُبُهاتهم؛ ناسَب أنْ يُخاطِب المؤمنين مُحذِّرًا إيَّاهم من الاغترار بالمُضلِّين، ومُبيِّنًا لهم أنَّ مَن كان هذا شأنَهم في الكُفْر، لا ينبغي أن يُطاعوا، ولا أن يُسمَع لهم قولٌ، فإنَّهم دُعاة الفِتْنة وروَّاد الكُفْر .. -المحرر-
(101)	توبيخ آخر. لما أقام الحجج على أهل الكتاب ووبخهم وبين لهم أن هذا الفريق منهم حريصون على إضراركم وردكم إلى الكفر بعد الإيمان ، ولكن ولله الحمد أنتم يا معشر المؤمنين بعدما من الله عليكم بالدين ورأيتم آياته ومحاسنه ،وفيكم رسول الله الذي أرشدكم إلى جميع مصالحكم ،واعتصمتم بالله وبحبله الذي هو دينه يستحيل أن يردوكم عن دينكم. -السعدي-
(102)	لَمَّا حذَّر اللّه تعالى المُخاطَبين من الانخداع لوَساوس بعض أهل الكتاب، حرَّضهم على تَمامِ التَّقوى؛ لأنَّ في ذلك زيادةَ صلاحٍ لهم، ورُسوخًا لإيمانهم -المحرر-
(103)	لَمَّا أمر اللّه تعالى عبادَه المؤمنين بالتَّقوى، أمَرهم بما يُعينهم عليها وهو الاجتماعُ والاعتصامُ بدِين اللّه ، فقال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) -المحرر-
(104)	في الآياتِ المتقدِّمةِ عاب اللّه تعالى أهلَ الكتاب على شيئين **أحدهما: أنَّه عابَهم على الكُفْر، فقال :يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ،** **ثُمَّ بعد ذلك عابَهم على سَعْيهم في إلْقاء الغير في الكُفْر،** فقال :يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه، فلمَّا انتقَل منه إلى مخاطبة المؤمنين، أمَرهم أوَّلًا بالتَّقوى والإيمان، فقال :اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، ثم أمَرهم بالسَّعي في إلْقاء الغير في الإيمان والطَّاعة ، فقال:(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا
فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)

الجزء الرابع — سورة آل عمران ٣

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ
فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
(١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا

١٠١←(٣)←١٠٣
توبيخٌ آخرُ لأهلِ الكتابِ لإصرارِهم على الكفرِ، ثُمَّ أمرُ المؤمنينَ بالتقوى والاعتصامِ بالكتابِ والسنَّةِ، والتحذيرُ من التفرُّقِ والاختلافِ.

١٠٤←(٦)←١٠٩
لمَّا عابَ اللهُ على

103-•بالاجتماع والاعتصام بدين اللّه يُعان الناس على التقوى، ويصلح دينُهم ودنياهم، وبالافتراق يختلُّ نظامُهم، وتنقطع روابطُهم.

•تذكُّر نِعَم اللّه بالقلب واللسان يزيد العبدَ محبَّةً للّه وشكرًا له ودأبًا في طاعته، ومن أعظم النِّعَم: الهدايةُ إلى الإسلام، واجتماعُ كلمة المسلمين.

•باتِّباع دين اللّه تتجمَّع القلوب المتفرِّقة، وبالتآخي في اللّه تتوحَّد الغايات وتجتمع عليها الكلـمة، وتصغُر إلى جانبها الأحقاد التاريخيَّة، والثارات القَبَليَّة، والأطماع الشخصيَّة.

•نعمة التعليم والإرشاد وإيضاح الحقائق نعمةٌ عظيمة، بها تكمُل عقول العباد، ويتبيَّنون مواضعَ رشدهم وصلاحهم. تطبيق مصحف التدبر

١٠٤←(٦)←١٠٩

لمَّا عابَ اللهُ على أهلِ الكتابِ كفرَهم وصدَّهم عن سبيلِ اللهِ أَمَرَ هنا المؤمنينَ بالدعوةِ إلى الخيرِ والأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ، ثُمَّ حذَّرَ من التفرُّقِ والاختلافِ في الدينِ.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

٦٣

١٠١- ﴿يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾: يلتجئ إليه، أو يستمسك بدينه، ١٠٣- ﴿شَفَا﴾: حافَة.

(١٠٣) ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ الأخوةُ في اللهِ نعمةٌ تحتاجُ إلى شكرٍ.

(١٠٤) ﴿وَلْتَكُن ... الْمُفْلِحُونَ﴾ احرصِ اليومَ على الأمرِ بمعروفٍ، والنهيِ عن منكرٍ؛ لتدخلَ في عبادِ اللهِ المفلحين.

(١٠٦) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ كلُّ عملٍ تعملُه اليومَ إمَّا أن يُبيِّض وجهَك يومَ القيامةِ أو يسوِّده، فراجِعْ أعمالَك لأنَّ بها لونَ وجهِك غدًا.

١٠٣: البقرة [٢٤٢]، ١٠٣: المائدة [٨٩]، ١٠٥: آل عمران [٨٦]، ١٠٨: البقرة [٢٥٢]، الجاثية [٦].



105-يا له من تحذيرٍ من التأسّي باليهود في تنازعهم، واختلاف قلوبهم، وتفرّق كلمتهم!

•الآيات البيِّنات يتلقَّاها أصحاب القلوب الطاهرة فتعصِمُهم من الفُرقة، ويتلقَّاها أهل الأهواء فلا تزيدهم إلا تدابرًا ونزاعًا.

•إن رضوان اللّه لا يُنال بالفُرقة والاختلاف مهما زعم أهلُ الضلال أنهم في سبيل اللّه، أولى لهم أن يتجنَّبوا سخطَ اللّه وعذابَه إن كانوا صادقين.

تطبيق مصحف التدبر

(105)	مُناسبةُ قوله :وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ... بعدَ قوله :وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ... أنّ الأمَّةَ إذا تَركتِ الدَّعوةَ إلى الخيرِ والأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر فلا بدَّ أنْ تتفرَّقَ؛ لأنَّه لا يكونُ لهم في هذه الحالِ كلمةٌ جامعةٌ؛ إذ كلُّ واحدٍ يُريد أنْ يعملَ على هواه، فالنُّفوسُ لها نزعاتٌ متباينةٌ . وأيضًا لَمَّا أمَر تعالى بالأمرِ بالمعروف والنَّهيِ عن المُنكَر، وذلك ممَّا لا يَتِمُّ إلَّا إذا كان الآمرُ بالمعروف قادرًا على تنفيذ هذا التَّكليف، ولا تَحصُل هذه القُدْرةُ إلَّا إذا حصلتِ الأُلْفةُ والمحبَّةُ بين أهل الحقِّ والدِّين، لا جرَم حذَّرهم اللّهُ تعالى من الفُرْقة والاختلاف؛ لكي لا يصيرَ ذلك سببًا لعَجْزهم عن القيامِ بهذا التَّكليف ، فقال: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) -المحرر-
(106)	لَمَّا ذكَر اللّهُ تعالى العذابَ العظيمَ الذي سيَقَع على مَن تفرَّقوا في دِينهم شيعًا بعد مجيءِ الحقِّ وظهوره لهم، بيَّن هنا موعدَ مجيء ذلك العذاب ، فقال: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)
	لما بين الله لرسوله ﷺ الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية قال:-تلك آيات الله
(109)	*لَمَّا ذكَر اللّهُ تعالى أنَّه غيرُ مُريدٍ للظُّلم، بيَّن هنا أنَّه لا يَحتاجُ إلى ظُلْم أحدٍ من خلْقه ، فقال:(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) - المحرر- *لما ذكرأن له الأمر والشرع ذكر أن له تمام الملك والتصرف والسلطان . -السعدي-

قرآنًا عجبًا

الموضوع الثاني: خيرية هذه الأمه وفضلها على سائر الأمم[١١٠-١١٥]

الجزء الرابع — سورة آل عمران

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً

١١٠←(٣)←١١٢ لمّا أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخبر هنا أنّ هذه الأمّة قامت بما أمرها الله به فاستحقّت الخيرية، ثمّ شرع في تأنيب أهل الكتاب وذمهم، وأنّهم لن يضرّوا المؤمنين إلا أذى باللّسان.

١١٣←(٣)←١١٥

(110)

- لمَّا كانتِ الآيةُ السَّابقة وهي قوله :وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ويَأْمُرون بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أمرًا منه تعالى لهذه الأُمَّة، والأمرُ قد يَمتثِله المأمورُ ويقوم به، وقد لا يقوم به؛ **أخبَر في هذه الآية أنَّ هذه الأمَّة المحمديَّة قد قامتْ بما أمرَها الله بالقيام به،** وامتَثلتْ أمرَ ربِّها، واستحقَّتِ الفضلَ على سائر الأمم ، فقال تعالى:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) - المحرر-

- لمَّا مدَح الله تعالى هذه الأُمَّة على تلك الصِّفات التي نالوا بها الخيريَّة من الإيمان بالله تعالى والأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكَر، شرَع في تأنيب أهل الكتاب، الذين ذمَّهم في آيةٍ أخرى بقوله سبحانه :كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [المائدة: 79] (وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ)

- التفسير المحرر-

(111)

هذا استئنافٌ نشأ عن قولِه :وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ؛ لأنَّ الإخبارَ عن أكثرهم بأنَّهم غير مؤمنين يُؤذِن بمُعاداتِهم للمؤمنين، وذلك مِن شأنه أنْ يُوقِع في نُفُوس المسلمين خَشيةً من بأسِهم ، فقال تعالى :(لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى) -المحرر-

-**اعلم أنه تعالى لمّا رغب المؤمنين في الثبات على إيمانهم** وترك الالتفات إلى أقوال الكفار و أفعالهم بقوله: [كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ]110, **رغّبهم فيه من وجه آخر**: وهو أن الكفار لا قدرة لهم على الإضرار بالمسلمين إلّا بالقليل من القول الذي لا عبرة له.



الموضوع الثاني: خيرية هذه الأمه وفضلها على سائر الأمم[١١٠-١١٥]

وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

فاستحقت الخيرية، ثُمَّ شرعَ في تأنيبِ أهلِ الكتابِ وذمِهم، وأنَّهم لن يَضرُّوا المؤمنينَ إلَّا أذىً باللِّسان.

١١٣←(٣)←١١٥
لمَّا ذكرَ اللهُ في الآياتِ السَّابقةِ حالَ الفاسقين من أهلِ الكتابِ، ذكرَ هنا حالَ المؤمنينَ منهم، وأنَّه لن يُضيِّعَ ما قدَّموه من أعمالٍ صالحةٍ.

٦٤

١١٢- ﴿ثُقِفُوٓاْ﴾: وُجِدوا، ﴿بِحَبۡلٖ﴾: بعهدٍ، ﴿ٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾: فقرُ النفس، ١١٥- ﴿فَلَن يُكۡفَرُوهُ﴾: فلن يضيع عند الله.
(١١٠) ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ أنتم خيرُ أمةٍ، لكن بشرط: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.
(١١٠) ﴿مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ الإنصافُ في الحكم على المجموعاتِ والأفرادِ مأمورٌ به في الشرعِ.
(١١٣) ﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ هذا حالُ أهلِ الإيمانِ في ليلِهم، وأنت؟!
١١٢: البقرة [٦١]، ١١٤: آل عمران [١٠٤]، التوبة [٧١].

(112)	لَمَّا بيَّن اللّه تعالى أنَّه لا ينالُ المؤمنين ضررٌ من أهل الكتاب، وأنَّهم لو قاتَلوا المؤمنين لولَّوُا الأدبارَ فِرارًا، فلمَّا أخبَر عنهم سبحانه وتعالى بهذا الذُّلِّ أَتْبَعه الإخبارَ بأنَّه في كلِّ زمان وكلِّ مكان مُعاملةً منه لهم بضدِّ ما أرادوا، فعوَّضهم عن الحِرص على الرِّئاسة إلزامَهم الذِّلَّةَ، وعن الإخلادِ إلى المال ضرْبَ المسكنة عليهم ، فقال:(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ) -المحرر-
(113)	لَمَّا بيَّن تعالى الفِرْقةَ الفاسقةَ من أهل الكتاب، وبيَّن أفعالَهم وعقوباتِهم، بيَّن هاهنا الأُمَّةَ المستقيمة، وبيَّن أفعالَها وثوابَها ، فقال:(لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ)-المحرر-
(114)	لَمَّا ذكَر اللّه تعالى من صِفات تلك الأُمَّة، تَهجُّدها وقيامها، ذكَر ما أثمَر لهم هذا التَّهجُّدُ وهو الإيمان ، فقال:(يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) -المحرر-

هؤلاء الذين وصفهم اللّه بهذه الصفات الجميلة والأفعال الجليلة (من الصالحين) الذين يدخلهم اللّه في رحمته ويتغمدهم بغفرانه وينيلهم من فضله وإحسانه، وأنهم مهما فعلوا (من خير) قليلا كان أو كثيرا (فلن يكفروه) أي: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم اللّه على ذلك أكمل ثواب.

الموضوع الثالث : تحذير الأمه من المنافقين خصوصا[١١٦-١٢٠]

(116) *لَمَّا وصَف اللّه تعالى مَن آمَن مِن الكفَّارِ بما تقدَّم من الصِّفات الحسنة أَتْبَعه تعالى بوعيدِ الكفَّار، فذكَر شيئًا من أحوالِ المؤمنين بعدَ ذِكْر شيءٍ من أحوال الكافرين؛ ليتَّضِح الفَرقُ بينهما. (إنَّ الَّذِين كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) -المحرر-

-لّما ذكر سابقًا أن كل ما يفعله المؤمن في الدنيا من خير سيجد ثوابه في الآخرة, ذكر في المقابل أن سعي الكافرين سعي ضائع لا ينفعهم يوم القيامة. _

*بعد أن حذّر اللّه تعالى المسلمين من أخطاء أهل الكتاب، وحذّرها من أعدائها من غيرها، انتقل إلى التحذير من أعدائها من الداخل، وهم المنافقون -التفسير الموضوعي-

(117) لَمَّا بيَّن اللّه تعالى أنَّ أموالَ الكفَّار لا تُغْني عنهم شيئًا، ثم إنَّهم ربَّما أنفَقوا أموالهم في وجوه الخيرات، فيَخطُر ببالِ الإنسان أنهم يَنتفِعون بذلك، فأزال اللّهُ تعالى بهذه الآية تلك الشُّبْهَةَ، وبيَّن أنَّهم لا يَنتفِعون بتلك الإنفاقات، وإنْ كانوا قد قصَدوا بها وجهَ اللّه ، فقال(مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ)-المحرر-

(118) لَمَّا شرَح اللّه تعالى أحوالَ المؤمنين والكافرين شرَع في تحذيرِ المؤمنين عن مُخالَطة الكافرين ، فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُم لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) -المحرر-

(119) قال اللّه مهيجا للمؤمنين على الحذر من هؤلاء المنافقين من أهل الكتاب، ومبينا شدة عداوتهم (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله) أي: جنس الكتب التي أنزلها اللّه على أنبيائه وهم لا يؤمنون بكتابكم.

(120) لَمَّا ذكَر اللّه تعالى شِدَّةَ عداوة أهل الكتاب للمؤمنين، ذكَر هاهنا أحوالًا دالَّةً على ذلك، تَكشِف عمَّا في صدورهم ، فقال(إنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ) -المحرر-

لَمَّا بيَّن تعالى شدَّةَ عداوةِ الكفَّار والمنافقين، وشرَح ما هم عليه من الصِّفات الخبيثة، وجَّه عِبادَه إلى ما يُعينهم على تحمُّل ذلك، ودفْعِ ضرره عنهم ، فقال:(وَإنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا) -المحرر-

---

الجزء الرابع — سورة آل عمران ٣

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١

١١٦←(٣)→١١٨ لَمّا أثنى على المؤمنين من أهل الكتاب أتبَعَهُ بوعيد الكفّار، وعدم انتفاعهم بأولادهم وأموالهم، حتى التي أنفقوها في وجوه الخيرات، ثُمّ حذّر من اتّخاذهم أصدقاء ومقربين.

١١٩←(٣)→١٢١ لَمّا حذّر من اتخاذهم أصدقاء بيّن هنا السبب وهو كراهيتهم للمؤمنين ونفاقهم وفرحهم بما يصيبهم من بلاء، ثُمّ بداية الحديث عن غزوة أحد ٣هـ، وخروج النبي ﷺ من المدينة لقتال المشركين.

١١٧- ﴿صِرٌّ﴾: بَردٌ شديدٌ، ١١٨- ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾: لا يُقصّرون في إفساد حالكم، ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ﴾: أحبّوا مشقّتكم الشديدة، ١٢١- ﴿غَدَوۡتَ﴾: خرجتَ من أول النهار، ﴿تُبَوِّئُ﴾: تُنزِل.

(١١٨) ﴿وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ الألسنة مغاريف القلوب، فمن تكلّم بالغيبة والنميمة والشتم فهو يُخرج صدأ الحقد والحسد والبغضاء من جوفه. (١٢٠) ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ وعد من الله: بالصبر والتقوى يُنجيك القدير من كيد الكائدين.

١١٦: آل عمران [١٠]، ١٢٠: النساء [٧٨].

المقطع السادس: عندما يواجه الأعداء(معركة أحد) [١٢١ - ١٤٨]

مناسبة المقطع بالمقطع السابق :

بعد أن حذّر اللّه تعالى من كيد الأعداء، وأكّد استمرارهم على العداء، وبيّن إظهارهم وإضمارهم للبغضاء، وأمر بالصبر والتقوى، - ويشير ذلك كله إلى حتمية الصراع والمواجهة -، انتقل إلى الحديث عن معركة أحد، والاختبار الذي حصل فيها، والتمييز الذي حصل بين المسلمين والمنافقين، والدروس والعبر المستفادة منها.

مناسبة المقطع لمحور السورة:

هذا المقطع شديد الصلة بمحور السورة الكريمة، لأن المعركة والمواجهة هي أشدّ امتحان للإيمان، وفيها تظهر حقيقة كل إنسان، وهل هو متعلق بالدنيا أم بالآخرة. كما أن ساحة القتال تستلزم صدق الطاعة والتوكل على اللّه تعالى، والاستغفار والاستبشار، والصبر على ما يحصل من أذى، والرضا بالقضاء والتقوى. كما أن من مقتضيات توحيد اللّه تعالى التعلق به وحده، وعدم التعلق بالأعداد ولا بالأفراد ولا بأحد من الخلق، ولو كان رسولاً من عند اللّه تعالى.

المقطع السادس: عندما يواجه الأعداء(معركة أحد) [١٢١ - ١٤٨]
الموضوع الأول: مقدمات معركة أحد (وأن الأمر كله لله) [١٢١-١٢٩]

(121)

***ولما ذكر اللّه تعالى كيد الكفار وعداوتهم وفرحهم بما يصيب المسلمين من مصائب ، أعقب ذلك بمثال عملي و مصيبة كبيرة ألمت بالمسلمين نتيجة كيد الكفار و عداوتهم ، وذكر سبحانه مثالا للالتزام بالصبر والتقوى في مواجهتهم ،وكيف كانت عاقبته النصر، كما حصل في غزوة بدر .**

ومثالا آخر لعدم الالتزام بالصبر والتقوى في المواجهة، فكانت نتيجته المصيبة والهزيمة ، كما حصل في غزوة أحد .

فبدأ سبحانه بذكر أمر الهزيمة في غزوة أحد فقال تعالى: وإذ غدوت من أهلك ....) -المنجد-

***لَمَا بيَّن اللّه تعالى أنَّ سلاحَ الصبر والتقوى يأمنُ بإذنِه المؤمنون من غوائلِ المتربِّصين، ويحصُل به النصرُ على الكافرين، ذكَر هنا مثالًا يَمنعُ تحقُّقَ ذلك الأمْر، إذا تخلَّفتْ بعضُ أسباب النصر تلك ، كما أنَّ ذِكر هذه الغزوةِ يُظهر شيئًا من كيدِ الأعداءِ الذين حذَّر اللّه تعالى عِبادَه من اتِّخاذهم بطانةً وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ. -المحرر-**

-لما بين أن اللّه تعالى قد وعد المؤمنين أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم، ورد كيد الأعداء عنهم، وكان هذا حكما عاما ووعدا صادقا لا يتخلف مع الإتيان بشرطه، فذكر نموذجا من هذا في هاتين القصتين، وأن اللّه نصر المؤمنين في «بدر» لما صبروا واتقوا، وأدال عليهم العدو لما صدر من بعضهم من الإخلال بالتقوى ما صدر.-السعدي-

-لمّا حذّر اللّه تعالى من اتّخاذ بطانة السوء، ذكر هنا مثالا واقعيا من ميدان المعارك و الغزوات: وهو أن سبب همّ الطائفتين بالفشل تثبيط المنافقين لهم بقيادة زعيمهم عبد اللّه بن أبي سلول.

الحديثِ عن غزوةِ أحدٍ ٣هـ وخروجُ النَّبيِّ ﷺ من المدينةِ لقتالِ المشركينَ.

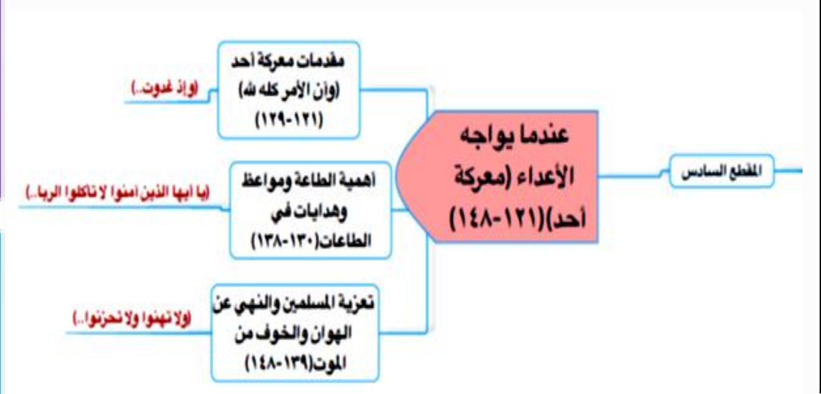
إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

٦٥

١١٧- ﴿صِرٌّ﴾: بردٌ شديدٌ. ١١٨- ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: لا يقصّرون في إفسادِ حالكم. ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾: أحبّوا مشقّتكم الشديدة. ١٢١- ﴿غَدَوْتَ﴾: خرجت من أول النهار. ﴿تُبَوِّئُ﴾: تنزل.

(١١٨) ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ الألسنة مغاريف القلوب، فمن تكلّم بالغيبة والنميمة والشتم فهو يُخرج صدأ الحقد والحسد والبغضاء من جوفه. (١٢٠) ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ وعدٌ من الله: بالصبر والتقوى يُنجيك القدير من كيد الكائدين.

١١٦: آل عمران [١٠]، ١٢٠: النساء [٧٨].



122

لما انخذل رأس النفاق عبد اللّه بن أبي ومن معه ،ورجع بثلث الجيش ، همت جماعتان من المسلمين أن يتخلفوا ويرجعوا معه ، ولكن اللّه عصمهم من ذلك وثبتهم وامتن عليهم وعلى نبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم وعلى المؤمنين بهذا، فقال تعالى :إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا - المنجد-

ثم انتقل الحديث إلى الحرب والمؤثرات النفسية التي حصلت قبل الحرب. -التفسير الموضوعي-

قال ابن عاشور : ومناسبة ذكر هذه الوقعة عقب ما تقدّم أنّها من أوضح مظاهر كيد المخالفين في الدّين ، المنافقين ، ولمّا كان شأن المنافقين من اليهود وأهل يثرب واحداً ، ودخيلتهما سواء ، وكانوا يعملون على ما تدبّره اليهود ، جمع اللّه مكائد الفريقين بذكر غزوة أحُد ، وكان نزول هذه السورة عقب غزوة أحُد كما تقدّم .

عَنْ جَابِرٍ رضي اللّه عنه قَالَ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ) بَنِي سَلِمَةَ وَبَنِي حَارِثَةَ ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ (وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا) رواه البخاري .

والهمّ من الطائفتين كان بعد الخروج لما رجع عبد اللّه بن أبيّ بمن معه من المنافقين فحفظ اللّه قلوب المؤمنين فلم يرجعوا وذلك قوله (واللّه وليهما) .فصورة الفشل : أنهما همتا أن ينصرفا عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بعد أن تسرب إليهما بعض الجبن والخور ، لكن اللّه ثبتهما .

(١٢٠-١٢٢) من أسباب النصر:

١ -الصبر 2 -التقوى 3 -التوكل والإستعانة باللّه 4- الإيمان.

الجزء الرابع — سورة آل عمران ٣

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا

١٢٢←(٦)←١٢٧

ما وقعَ لبني سَلِمَةَ وبني حارثةَ لمَّا ضعفُوا وهَمُّوا بالرجوعِ حينَ رجعَ المنافقونَ في غزوةِ أُحدٍ واللهُ ثبَّتهم، ثُمَّ التذكيرُ بالنَّصرِ في غزوةِ بَدْرٍ ونزولِ الملائكةِ.

(123)

وهذا هو المثال الذي ذكره اللّه تعالى للالتزام بالصبر والتقوى في مواجهة الأعداء ، وكيف كانت عاقبته النصر .فلما ذكر تعالى مطلع غزوة أحد , وكان فيها ما كان من التنازع والعصيان ، وإرادة الدنيا ، والمصيبة الكبيرة التي حصلت بسبب ذلك ، ذكر المؤمنين بغزوة بدر , وما كان فيها من التوكل عليه والصبر والتقوى ، فكان النصر .فذكرهم بمنته عليهم فيها ليخفف عنهم ما وقع عليهم في أحد ،فقال عز وجل : ولقد نصركم اللّه بدر وأنتم أذلة -المنجد-

*لَمَّا بيَّن اللّه تعالى أنَّ سلاح الصَّبر والتَّقوى يأمَن بإذنه المؤمنون من غوائل المُتربِّصين ويحصُل به النَّصر على الكافرين، ذكَر هنا مثالًا تحقَّقت فيه للمؤمنين أسبابُ النَّصر هذه، فنصرهم اللّه تعالى بفضلِه.

كما أنَّه لَمَّا ذكَر حالَهم في غزوة أُحُد وما جرَى عليهم من المصيبة، أدخَل فيها تذكيرَهم بنَصْره، ونِعمتِه عليهم يوم بَدْر؛ ليكونوا شاكرين لربِّهم، وليُخفِّف هذا عنهم. (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ)

أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ

ضعفوا وهمّوا بالرجوع حين رجع المنافقون في غزوة أحد والله ثبّتهم، ثُمّ التذكيرُ بالنصر في غزوة بدر ونزول الملائكة.

١٢٨←(٥)→١٣٢

124	ثم ذكر الله تعالى عن نبيه (صلى الله عليه وسلم) أنه وعد المؤمنين بمدد من الله يأتيهم ، وهو ثلاثة آلاف من الملائكة ، وإذا صبروا واتقوا وجاء الكفار من فورهم ، يزيد العدد إلى خمسة آلاف ، كبتا للكفار وخزيا لهم . -المنجد-
126	ثم قال الله تعالى عن الحكمة من البشارة , و إخبار المؤمنين بها , (وما جعله الله إلا بشرى لكم و لتطمئن قلوبكم به) -المنجد-

124المدَدُ الذي لا تُعيقه المسافات، ولا تَحول دونه البحار ولا القُوى، هو مدَدُ الله وحدَه للمؤمنين.

•في كلِّ مواجهةٍ مع العدوِّ آمن بقدرة ربِّك، واستحضر هذا المعنى في نفسِك، وستجد أثره يقينًا ونصرًا في قلبك وواقعك.

•126رعاية الله تعالى للمؤمنين تتجاوز مجرَّد النصر إلى الإسعاد في الموقف الجَلَل، ألم ترَ كيف أنزل الله الملائكةَ من السماء لتبشِّرَ هذه الثُّلَّة المباركة وتثبِّتَ قلوبهم؟!

تطبيق مصحف التدبر

127

ونزلت هذه الآية لسببين؛

الأول: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول: (اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا)، بعد مايقول: (سمع اللّه لمن حمده ربنا ولك الحمد)، فأنزل اللّه (ليسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شيء) إلى قوله: (فإنهم ظالمون)،

والثاني: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشجّ في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: (كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم وكسروارباعيته وهو يدعوهم

إلى اللّه)، فأنزل اللّه عز وجل (ليس لك مِنَ الأمْرِ شيء).

(أو يتوب عليهم) وهم القسم الثالث، بأن يهديهم إلى الإيمان، ويغفر لهم ما كان،

(أو يعذبهم) في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة، (فَإنّهُمْ ظالمون) مستحقون للعذاب.

وهذا هو القسم الرابع والأخير المذكور هنا.

وختم هذا الموضوع بقوله: [وللّه ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء واللّه غفور رحيم] [آل عمران: ١٢٩]

وهذه الآية تأكيد لما تكرر من بداية هذا الموضوع، حيث جاء فيه: (واللّه وليهما)، (وَعلى اللّهِ فَلْيَتَوَكل الْمُؤمِنُونَ)، (وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللّه)، (يمدكم ربكم)، (وَمَا النّصرُ إلّا مِنْ عِندِ اللّه)، (ليس لك مِنَ الأمْرِ شيء)، فناسب ختمه بقوله تعالى: (وَللّه مَا فِي السّمٰوتِ وَمَافِي الأرْضِ)

ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

٦٦

١٢٨←(٥)←١٣٢

بعدَ ذكرِ غزوةِ أُحدٍ والتذكيرُ بنصرِ بَدرٍ بَيَّنَ اللهُ أنَّ الأمرَ له وحدَهُ والجميعُ مِلكٌ له، وناسبَهُ ذكرُ الرِّبا لأنَّ صاحبَه مهزومٌ في حربِه معَ اللهِ، كما ناسبَ ذكرَ أحدٍ الأمرُ بطاعةِ اللهِ ورسولِه.

١٢٢- ﴿أَن تَفۡشَلَا﴾: تجبنا، وتضعفا. ١٢٥- ﴿فَوۡرِهِمۡ﴾: ساعتهم هذه. ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: معلمين أنفسهم، وخيولهم بعلامات واضحات. ١٢٧- ﴿يَكۡبِتَهُمۡ﴾: يخزيهم.

(١٢٣) ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ﴾ أحرى ما يستجاب للدعاء، ويتحقق النصر حين تعلن الافتقار إلى الله.

(١٢٦) ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مع تطمينه وتبشيره للمجاهدين بنزول الملائكة، إلا أنه أعلن أن النصر إنما هو من عنده؛ فلا يتعلقوا بغيره.

١٢٣: التوبة [٢٥]، ١٢٦: الأنفال [١٠]، ١٢٩: الفتح [١٤]، ١٣٢: النور [٥٦].

128	**لما جرى يوم «أحد» ما جرى، وجرى على النبي صلى اللّه عليه وسلم مصائب، رفع اللّه بها درجته، فشج رأسه وكسرت رباعيته، قال « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم » وجعل يدعو على رؤساء من المشركين مثل أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، أنزل اللّه تعالى على رسوله نهيا له عن الدعاء عليهم باللعنة والطرد عن رحمة اللّه.** -السعدي-
129	**-لما نفى عن رسوله أنه ليس له من الأمر شيء قرر من الأمر له فقال (وللّه ما في السماوات وما في الأرض).** -السعدي- **-إنّ المقصود من هذا تأكيد ما ذكره أولا من قوله: [لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ] والمعنى ان الامر إنما يكون لمن له الملك، وملك السماوات والأرض ليس إلّا للّه تعالى فالأمر في السماوات والأرض ليس إلا للّه.**

الموضوع الثاني: أهمية الطاعة ومواعظ وهدايات في الطاعات[١٣٠ - ١٣٨]

(130)

أنَّ ما قَبلَها في بيانِ أنَّ اللّه نصرَ المؤمنين وهم أذلَّةٌ، وأنَّهم إنما نُصِروا بتقوى اللّهِ وامتثالِ الأمْرِ والنهي؛ ولذلك خُذِلوا في أُحُدٍ عند المخالفةِ والطَّمعِ في الغنيمةِ، فحثَّهم اللّهُ تعالى في هذه الآيةِ على بَذْلِ المالِ في سبيلِ اللّهِ كالدِّفاعِ عن المِلَّةِ والأُمَّة، والتنفير عن الطَّمعِ فيه، وشرُّه أكْلُ الرِّبا أضعافًا مُضاعفةً؛ لذا ذُكِر في أوَّلِ الكلامِ في هذه الغزوةِ شيءٌ يتعلَّقُ بالمالِ وإنفاقِه وفي آخِرِها شيءٌ يَتعلَّقُ بذلك.

وأيضًا فإنَّه لَمَّا تقدَّم وعْدُ اللّه تعالى للمؤمنين، بأنَّهم إنْ صبَروا واتَّقوا، نَصَرهم على أعدائِهم، فكأنَّ النُّفوسَ اشتاقتْ إلى معرفةِ خِصالِ التَّقوى التي يَحصُل بها النَّصرُ والفلاحُ والسَّعادة، فذكَرَ اللّهُ في هذه الآياتِ أهمَّ خِصالِ التَّقوى، التي إذا قام العبدُ بها، فقيامُه بغيرِها من باب أَوْلى وأَحْرى، فنهاهم أولًا عن أكْلِ الرِّبا أضعافًا مُضاعَفة، ثم توالتْ بعد ذلك الأوامرُ الأخرى التي مَن امتثَلها، فإنَّه يُحقِّق التَّقوى.

وأيضًا ناسَب اعتراضَ هذه الجملةِ هنا أنَّه تعالى وعَدَ المؤمنين بالنَّصر والإمدادِ مَقرونًا بالصَّبر والتقوى، فبدأ بالأهمِّ منها، وهو: ما كانوا يَتعاطَوْنه من أكْلِ الأموالِ بالباطل، وأمَر بالتَّقوى، ثمَّ بالطاعة.

وأيضًا لَمَّا نَهى اللّهُ تعالَى المؤمنين عن اتِّخاذِ بِطانةٍ من غيرهم، واستطرَدَ لذِكْر قِصَّة أُحُد، وكان الكفَّارُ أكثرُ معاملاتِهم بالرِّبا مع أمثالِهم ومع المؤمنين، وهذه المعاملةُ مُؤدِّيةٌ إلى مُخالطةِ الكفَّار؛ نُهوا عن هذه المعاملةِ التي هي الرِّبا قطعًا؛ لِمُخالطةِ الكفَّارِ ومَودَّتِهم، واتِّخاذِ أخِلَّاء منهم، لا سيَّما والمؤمنون في أوَّل حالِ الإسلامِ ذوو إعسارٍ، والكفَّار من اليهودِ وغيرهم ذوو يسارٍ، وكان أيضًا أكْلُ الحرامِ له مَدخلٌ عظيمٌ في عدمِ قَبولِ الأعمالِ الصَّالحة والأدعية، فناسَب ذِكْرَ هذه الآيةِ هنا.

وأيضًا لَمَّا قال تعالى :وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وبيَّن أنَّ ما فيهما من الموجودات مِلكٌ له، ولا يجوزُ أنْ يُتصرَّفَ في شيءٍ منها إلَّا بإذنه على الوجهِ الذي شَرَعه، وآكِلُ الرِّبا مُتصرِّفٌ في مالِه بغيرِ الوجهِ الذي أَمَر؛ نبَّه تعالى على ذلك، ونهى عمَّا كانوا في الإسلامِ مُستمرِّين عليه من حكم الجاهليَّة ، فقال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) -التفسير المحرر-

وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

٦٦

وحده والجميع ملك له، وناسبَ ذكرُ الرِّبا لأنَّ صاحبَه مهزومٌ في حربِه مع الله، كما ناسبَ ذكرَ أحدٍ الأمرُ بطاعةِ الله ورسوله.

١٢٣: التوبة [٢٥]، ١٢٦: الأنفال [١٠]، ١٢٩: الفتح [١٤]، ١٣٢: النور [٥٦].

مناسبة المقطع لما سبق:

لما مرّ في المقطع السابق أن الأمر كله للّه تعالى وحده، وليس لأحد من خلقه شيء في ذلك، ولما كان العصيان هو السبب الأساس في حصول الهزيمة في معركة أحد، ذكر هنا مواعظ وهدايات للمتقين المصدقين، ليستحقوا نصر اللّه تعالى

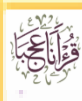
الجزء الرابع — سورة آل عمران ٣

١٣٣←(٤)←١٣٦

بعدَ التخويفِ من النَّارِ دعا للمسارعةِ إلى فعلِ الخيراتِ لنيلِ مغفرتِه ودخولِ جنَّتِه التي أعدَّها للمتَّقين، ثُمَّ بيَّنَ صفاتِهم التي استَحقُّوا بسببِها الجنَّةَ، ثُمَّ أخبرَ بجزائِهم.

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ

الآية	التناسب
(133)	لَمَّا أمَرَ اللّه تعالى عِبادَه بالبِدارِ والمسابقةِ إلى مَغفرةِ اللّه، التي بها زوالُ المكروه، أمَرَهم عَقِبَ ذلك بالبِدارِ والمسابقةِ إلى ما يُحقِّق لهم حُصولَ المطلوب؛ فإنَّ الإنسان لا تَتِمُّ سعادتُه إلَّا بهذين الأمرين: زوال ما يَكْره، وحُصول ما يَأمُل ؛ لذا قال : وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) -المحرر- *ولما ذكر الله تعالى أنه أعد النار للكافرين ، ذكر أنه أعد الجنة للمتقين ، وذكر شيء من أوصافهم فقال تعالى : وسارعوا ......) -المنجد-
(134)	لَمَّا بيَّن تعالى أنَّ أهل الجنَّة هم المتَّقون، أعقَب ذلك بذِكْر قيام هؤلاء المتَّقِين بأعمالٍ جليلة أهَّلتْهم لنَيل هذا الفضل العظيم. كما أنَّ اللّه تعالى بعدَ أنْ نهى عبادَه عن أكْلِ الرِّبا، ابتدأ في صِفات المتَّقِين بضدِّ ذلك، وهو الإنفاقُ في سبيل اللّه عزَّ وجلَّ ، كما جمَع بينهما في آياتٍ أخرى كقوله تعالى :يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ] البقرة: 276[، فقال تعالى :(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) -المحرر- ولما ذكر الله تعالى أن الجنة أعدت للمتقين ، شرع في تفصيل حالهم وبعض أوصافهم ، فقال : الذين ينفقون ......) -المنجد-
(135)	لَمَّا ذكَر اللّه تعالى بعضَ صِفات المتَّقِين المتعلِّقة بمعاملة الخَلْق، أعقَب ذلك بذِكر قِيامهم بحقِّ الخالق سبحانه. وأيضًا فإنَّ اللّه تعالى لَمَّا وصَف الجنَّة بأنَّها مُعدَّة للمتَّقِين، بيَّن أنَّ المتَّقِين قِسمان: أحدهما: الذين أقبَلوا على الطَّاعات والعبادات، وهم الذين وصَفَهم اللّه بالإنفاق في السَّرَّاء والضَّرَّاء، وكَظْمِ الغيظ، والعفوِ عن النَّاس- فذكَر المتَّقين حالَ كمالِهم. وثانيهما: الذين أذنَبوا ثم تابوا، فذكَرهم حالَ تَدارُكِهم نَقائصَهم، فالمُذنِب إذا تاب صار حالُه كحال مَن لم يُذنِب قطُّ في استحقاقِ المنزلةِ والكرامةِ عند اللّه. وأيضًا فإنَّه تعالى لَمَّا ندَب في الآية الأولى إلى الإحسانِ إلى الغيرِ، ندَب في هذه الآيةِ إلى الإحسانِ إلى النَّفْس؛ فإنَّ المذنِب العاصي إذا تاب كانتْ تلك التَّوبةُ إحسانًا منه إلى نَفْسه ؛ فقال تعالى :(والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) -المحرر- *ولما ذكر الله تعالى صفات المتقين ،ومعاملتهم الحسنة للخلق ، أتبعهم بصنف آخر دونهم ، لكنهم يلحقون بهم في المأوى إلى الجنة العريضة ، وهم التائبون من ذنوبهم . وقيل :بل هم أنفسهم المتقون المذكورون في الآية التي قبلها ،فهم بشر يذنبون ويخطئون ،لكنهم سرعان ما يعودون إلى ربهم ويتوبون ، فذكر الله تعالى حالهم عند وقوع الذنب منهم . فقال تعالى : والذين إذا فعلوا ......) -المنجد-



الجنَّةَ، ثُمَّ أخبَرَ بجزائِهم.

١٣٧ ←(٤)→ ١٤٠
تعزيةُ المؤمنينَ على ما أصابَهم في غزوةِ أُحدٍ، وأنَّه قدْ مضتْ من قبلِكم سُننٌ إلهيةٌ في إهلاكِ الكافرينَ، فلا تضعُفُوا ولا تحزنُوا، وإن أصابَكم جِرَاحٌ وقَتْلٌ فقد أصابَ الكفارَ مثلُه.

مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ
فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

١٤٠ ﴿قَرْحٌ﴾: جرحٌ. ﴿نُدَاوِلُهَا﴾: ننقلُها. (١٣٣) على كلِّ الطُّرقِ يُطلبُ منكَ تقليلُ السرعةِ، إلا الطريقَ إلى اللهِ مكتوبٌ عليه: ﴿وَسَارِعُوا﴾.
(١٣٣) ﴿وَسَارِعُوا﴾ اسبِقِ اليومَ غيرَكَ إلى عملٍ صالحٍ رجاءَ أن تَدخلَ في هذه الآيةِ.
(١٣٤) كم مرةً عملتَ بهذه الآيةِ؟!
(١٣٩) يرتفعُ الإنسانُ ويعلو بمقدارِ إيمانِه ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.
١٣٣: الحديد [٢١]، ١٣٦: العنكبوت [٥٨]، الزمر [٧٤]، ١٣٧: النحل [٣٦]، الأنعام [١١]، النمل [٦٩]، العنكبوت [٢٠]، الروم [٤٢]، ١٣٨: إبراهيم [٥٢].

(136)	لَمَّا أَتَمَّ اللّهُ تعالى وصْفَ السَّابقين وهم المتَّقون، واللَّاحِقين وهم التَّائبون- أخبَرَ بجزائهم [1] ؛ فقال :(أولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) -المحرر- *و لما ذكر الله تعالى المتقين وثوابهم وصفاتهم ، ثم ذكر التائبين الذين لا يصرون ، ذكر جزاءهم جميعا فقال : أولئك جزاؤهم مغفرة و....) -المنجد-
(137)	بعدَما سبَق الحديثُ عن غزوة أُحُد، وما أصابَ المسلمين فيها، خاطبَهم اللّه تعالى بهذه الآية؛ تَعزيةً وتسليةً لهم (قدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) أنَّ قوله تعالى :قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ، وقوله :هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ، كالمقدِّمة لقوله :وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا؛ كأنَّه قال: إذا بحثتُم عن أحوالِ القرونِ الماضية، علمتُم أنَّ أهلَ الباطلِ وإنِ اتَّفقت لهم الصولةُ، فإنَّ مآلَ أمْرهم إلى الضَّعفِ والفتور، وصارتْ دولةُ أهل الحقِّ عاليةً؛ وصولةُ أهل الباطل مُندرِسةً؛ فلا ينبغي أنْ تصيرَ صولةُ الكفَّار عليكم يومَ أُحُد سببًا لضعْف قلوبِكم، ولجُبنكم وعجزِكم، بل يجبُ أنْ تَقْوَى قلوبُكم؛ فإنَّ الاستعلاءَ سيحصُل لكم، والقوَّةُ والدولةُ راجعةٌ إليكم [14] ؛ فقال تعالى : وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139) -المحرر ثم رجع السياق لبيان ما حصل في غزوة أحد ، فقال تعالى مخاطبا عباده المؤمنين الذين أصيبوا بمصيبة عظيمة في تلك الموقعة (قد خلت من قبلكم سنن...............) -المنجد-
(138)	ولما ذكر الله تعالى من شواهد النظر ,ما يدل على صدق الخبر الذي جاء من عنده , قال عن مصدر الخبر:(هذا بيان للناس) -المنجد-

الموضوع الثالث: تعزية المسلمون والنهي عن الهوان والخوف من الموت[١٣٩-١٤٨]

١٣٧ ⟵ (٤) ⟵ ١٤٠

تعزيةُ المؤمنينَ على ما أصابَهم في غزوةِ أُحدٍ، وأنَّه قدْ مضتْ من قبلِكم سُنَنٌ إلهيةٌ في إهلاكِ الكافرينَ، فلا تضعُفُوا ولا تحزنُوا، وإن أصابَكم جِرَاحٌ وقَتْلٌ فقد أصابَ الكفارَ مثلُه.

فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

٦٧

١٤٠- ﴿قَرۡحٞ﴾: جرحٌ، ﴿نُدَاوِلُهَا﴾: نقلبها. (١٣٣) على كلِّ الطرقِ يطلبُ منك تقليلَ السرعة، إلا الطريق إلى الله مكتوب عليه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾.

(١٣٣) ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ اسبقِ اليوم غيرَك إلى عملٍ صالحٍ رجاءَ أن تدخلَ في هذه الآية.

(١٣٤) كم مرةً عملتَ بهذه الآية؟!

(١٣٩) يرتفع الإنسانُ ويعلو بمقدارِ إيمانه ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

١٣٣: الحديد [٢١]، ١٣٦: العنكبوت [٥٨]، الزمر [٧٤]، ١٣٧: النحل [٣٦]، الأنعام [١١]، النمل [٦٩]، العنكبوت [٢٠]، الروم [٤٢]، ١٣٨: إبراهيم [٥٢].

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ

١٤١ ⟵ (٤) ⟵ ١٤٤

دروسٌ من غزوةِ أُحدٍ: ١- الابتلاءُ للاختبارِ والتمحيصِ. ٢- عتابُ الذينَ تخاذلُوا لمَّا سمعُوا إشاعةَ قتلِ النَّبيِّ ﷺ، فالدَّعوةُ إلى اللهِ يجبُ ألا ترتبطَ بحياةِ أحدٍ من البشرِ.

(139)	**أنَّ قوله تعالى{ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} وقوله{ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ}كالمقدِّمة لقوله{ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا} كأنَّه قال: إذا بحثتُم عن أحوالِ القرونِ الماضية، علمتُم أنَّ أهلَ الباطلِ وإنِ اتَّفقت لهم الصولةُ، فإنَّ مآلَ أمْرِهم إلى الضَّعفِ والفتور، وصارتْ دولةُ أهل الحقِّ عاليةً؛ وصولةُ أهل الباطل مُندرسةً؛ فلا ينبغي أنْ تصيرَ صولةُ الكفَّار عليكم يومَ أُحد سببًا لضعْف قلوبِكم، ولجُبنكم وعجزِكم، بل يجبُ أنْ تَقْوَى قلوبُكم؛ فإنَّ الاستعلاءَ سيحصُل لكم، والقوَّةُ والدولةُ راجعةٌ إليكم .- المحرر-
(140)	ولما ذكر الله تعالى أن له سننا ماضية في ابتلاء المؤمنين , وإهلاك المكذبين , ولفت النظر إلى ما في كتابه من البيان و الهدى , ونهى المصابين في أحد عن الضعف و الحزن , وبشرهم بالعلو و الغلبة:أتى بمزيد من المواساة للصحابة رضي الله عنهم فقال:(إن يمسسكم قرح ....)
(141)	لَمَّا سلَّى اللهُ تعالى عِبادَه المؤمنين عن الهزيمةِ التي وقَعتْ لهم يوم أُحد، وأنَّ الأيَّامَ دُولٌ بين الناس، شرَع سبحانه في بيان الحِكَم العظيمةِ المترتِّبةِ على ذلك ، فقال : (وليَمحص اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) -المحرر-
(142)	لَمَّا أرشدَ اللهُ تعالى المؤمنين في الآياتِ السَّابقة إلى أنَّه لا يَنبغي لهم أن يَضعُفوا أو يَحزنوا، وبيَّن لهم حِكمةَ ما أصابهم يومَ أُحد، وأنَّه منطبقٌ على سُنَّته في مداولة الأيَّام بين الناس، وفي تمحيصِ أهل الحقِّ بالشَّدائد، وفي ذلك من الهداية والإرشادِ والتَّسلية ما يُربِّي المؤمنَ على الصِّفات التي يَنالُ بها الغَلَبة والسِّيادةَ بالحقِّ، وهذه مِن سعادةِ الدُّنيا- بيَّن لهم في هذه الآيةِ أنَّ سعادةَ الآخرة لا تُنالُ أيضًا إلَّا بالجهادِ والصَّبر (1)، فقال : أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142)

(143)	**عتاب** *ولما كان الصحابة رضي اللّه عنهم الذين لم يخرجوا في بدر، قد رأوا ما فاتهم من المشاهد العظيمة والمناقب الشريفة لمن حضر بدرا ، من رضوان اللّه تعالى ، والمغفرة ، وقتال الملائكة ، والنصر ، ورأوا الغنائم وأسرى قريش مع العائدين من بدر ، وسمعوا أخبار من قتل من الكفار ، صار ذلك دافعا عظيما لهم ليلقوا العدو ، وينالوا مثل تلك المناقب والفضائل . 8ولم يكن ذلك ليتم إلا بمعركة ولقاء آخر معهم ، فلما حصل ذلك في أحد، وهم يترقبونه ، وقد تشوقوا إليه ،وأصروا على الخروج من المدينة لأجله ، ثم حصل ما حصل من العصيان والتنازع والتولي ، قال اللّه لهم : ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ......) -المنجد-)
(144)	**ولما كانت الغلبة للمسلمين في أول المعركة ،** وفر المشركون ، وسقط لواؤهم ، خالف بعض الرماة أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فنزلوا وجعلوا يأخذون الغنائم ، والتقت صفوف المسلمين بعضهم مع بعض والتبسوا ، ففاجئتهم خيل المشركين من الخلف ، فوقعوا فيهم قتلا ، واضطرب أمر المسلمين ،حتى جعل بعضهم يضرب بعضا ، وقتل من المسلمين كثيرون ، **فعند ذلك صاح الشيطان**: قتل محمد . فوقع ذلك الخبر في قلوب كثير من المؤمنين ، ولم يشكوا فيه أنه حق، واضطرب أمرهم ، فصاروا ثلاث فرق : ثلث جريح ، وثلث مقتول ، وثلث منهزم . **فعاتب اللّه تعالى المؤمنين على ما حصل منهم من الوهن والضعف ،** والتأخر عن القتال بسبب تلك الإشاعة ، فقال عز وجل : وما محمد إلا رسول ....) -المنجد-.

الجزء الرابع — سورة آل عمران ٣

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ

١٤٤←(٤)←١٤١

دروسٌ من غزوة أحُد: ١- الابتلاء للاختبار والتمحيص.
٢- عتاب الذين تخاذلوا لمّا سمعوا إشاعة قتل النبي ﷺ فالدعوة إلى الله يجب ألا ترتبط بحياة أحدٍ من البشر.

اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

٦٨

١٤٥←(٤)→١٤٨

٣- لا يموتُ أحدٌ حتى يستوفي المدة التي حدّدها الله له، وكثيرٌ من الأنبياء قاتلَ معهم مؤمنون صادقوا الإيمان ما جبنوا بسبب ما أصابهم من قتلٍ وجراح.

١٤١- ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: يخلّص من الذنوب، ١٤٣- ﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾: تتمنون لقاء الكفار لتنالوا الشهادة، ١٤٦- ﴿رِبِّيُّونَ﴾: جموعٌ كثيرة.

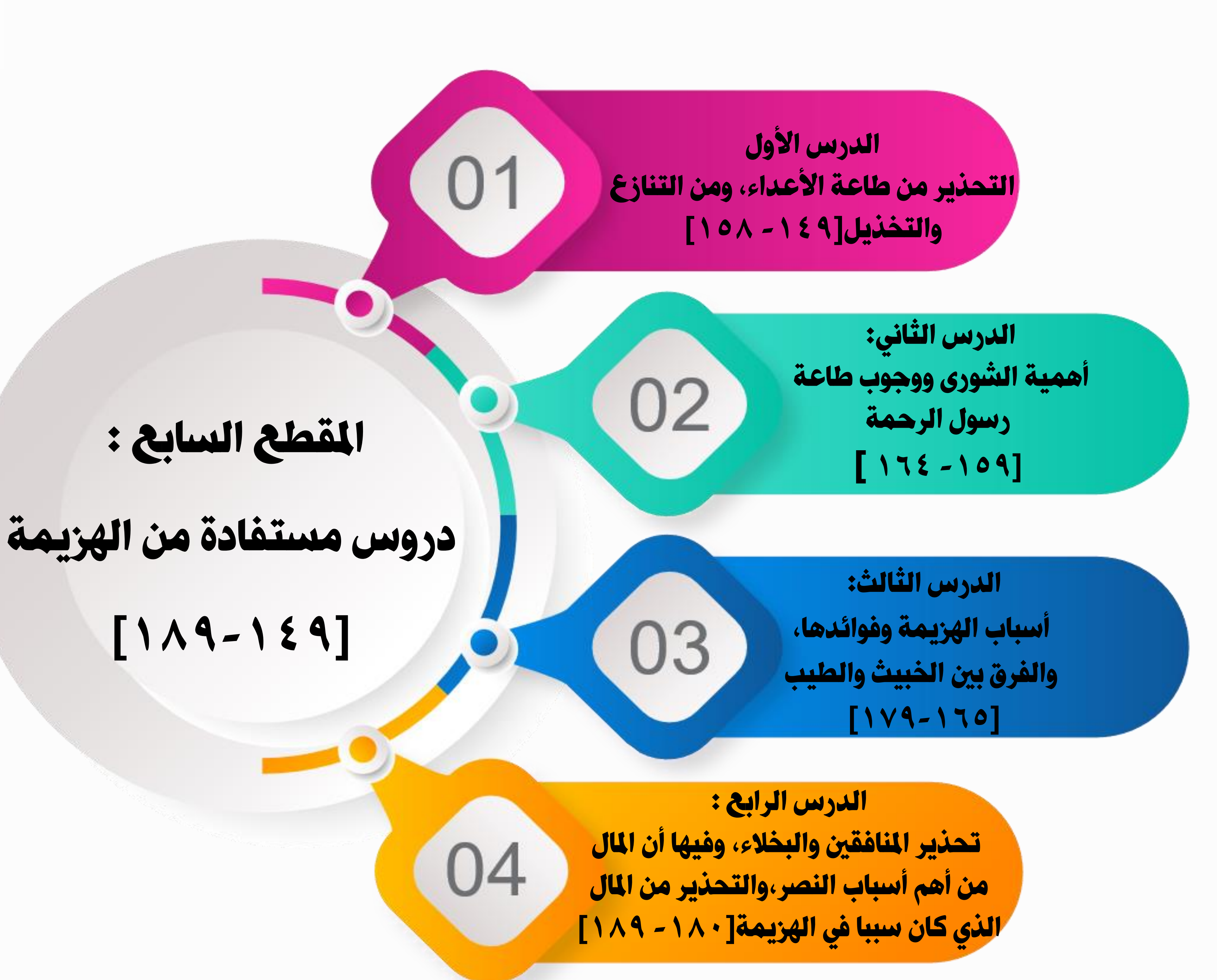
(١٤٢) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ...﴾ سلعة الرحمن غالية لا تُنال بالراحة.

(١٤٦) ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ هب أنك لم تر عاقبة الصبر في الدنيا ألا تكفيك محبة الله ؟!

(١٤٧) ﴿قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ ما أعظمهم! لم يشغلهم بريق السيوف عن هموم الذنوب.

١٤٢: التوبة [١٦]، ١٤٢: البقرة [٢١٤]، ١٤٥: يونس [١٠٠]، ١٤٧: البقرة [٢٥٠].

(145)	ثم ذكر اللّه تعالى أن وفاة نبيه صلى اللّه عليه وسلم ، أو غيره من الناس ،إنما هي بأمر اللّه وإذنه ،وقدره عز وجل ،وأنه إذا بقي من عمره صلى اللّه عليه وسلم بقية -لإكمال إبلاغ الدين -، فلا يمكن أن يموت قبل ذلك ، لأن آجال النفوس مكتوبة ، ولابد أن تستوفى ، واللّه تعالى هو الذي قضى بذلك. فقال تعالى : وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللّه كتابا مؤجلا....... -المنجد -
(146)	أنه لَمَّا كان من المؤمنين ما كان يومَ أُحُد، وعتَبَ عليهم اللّه ما وقَع منهم، أخبرَهم أنَّ طريقةَ أتْباعِ الأنبياء المتقدِّمين: الصَّبرُ على الجِهاد، وترْكُ الفرار؛ فكيف يليقُ بكم هذا الفرارُ والانهزام ؟!وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ -المحرر- *ثم ضرب اللّه تعالى مثلا للمؤمنين المصابين في أحد ، بحال المؤمنين الذين كانوا مع الأنبياء الماضيين ، ليتأسى اللاحقون بالسابقين ، ويقتدوا بهم ، ويصبروا كصبرهم ، ويثبتوا كثباتهم ، ويكون في ذلك أيضا تسلية لهم عما أصابهم. فقال : وكأين من النبي ....) –المنجد-
(147)	*ثم ذكر اللّه تعالى بعض كلام هؤلاء الذين ثبتوا عند لقاء العدو ممن سبقونا في الإيمان فقال عز وجل : وما كان قولهم إلا......) –المنجد- *أنَّ اللّه تعالى لَمَّا ذَكَر ما كان عليه الرِّبِّيُّون من الجلَد والصبر، وعدمِ الوهنِ والاستكانةِ للعدوِّ، وذلك كلُّه من الأفعالِ النفسانيَّة التي يَظهر أثرُها في الجوارح، ذكَر ما كانوا عليه من الإنابةِ والاستغفار، والالْتجاءِ إلى اللّه تعالى بالدُّعاء ، فقال :(وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا)- المحرر-
(148)	*ولما حسنت النوايا وصدقت الأقوال وصحت الأفعال من هؤلاء المؤمنين الربانيين ، كان جزاءهم في الدارين كاملا موفورا ، ولذا قال تعالى عنهم : فآتاهم اللّه ثواب ....) –المنجد- *أنَّ اللّه تعالى لَمَّا أتمَّ الثناءَ على فِعل الرِّبِّيِّين في الصَّبر، وطريقتِهم في الدُّعاء، ذكَر ما سبَّبه لهم ذلك من الجَزاء في الدُّنيا والآخِرة ، فقال : فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ) –المحرر-



المقطع السابع :
دروس مستفادة من الهزيمة
[١٤٩-١٨٩]
01
الدرس الأول
التحذير من طاعة الأعداء، ومن التنازع
والتخذيل[١٤٩ - ١٥٨]
02
الدرس الثاني:
أهمية الشورى ووجوب طاعة
رسول الرحمة
[١٥٩- ١٦٤]
03
الدرس الثالث:
أسباب الهزيمة وفوائدها،
والفرق بين الخبيث والطيب
[١٦٥-١٧٩]
04
الدرس الرابع :
تحذير المنافقين والبخلاء، وفيها أن المال
من أهم أسباب النصر،والتحذير من المال
الذي كان سببا في الهزيمة[١٨٠ - ١٨٩]

المقطع السابع : دروس مستفادة من الهزيمة [١٤٩-١٨٩]

مناسبة المقطع لسابقه:

هذا المقطع بكل دروسه شديد الصلة بسابقه، فقد جاء بعد الهزيمة في معركة أحد، ليقرر حقائق وتوجيهات مختلفة، بدأت بالتحذير من طاعة الأعداء وموالاتهم لأنها سبب الخسارة في الدنيا والآخرة، ودعت إلى موالاة اللّه تعالى، كما حذّرت من التنازع والاختلاف، وفضحت المنافقين والمخذّلين، وأكدت أن النصر من عند اللّه تعالى، فإذا نصرهم اللّه تعالى فلا غالب لهم، وإذا خذلهم فلا ناصر لهم، ثم تحدثت الآيات عن أسباب حصول الهزيمة وأولها العصيان، والحكم البليغة والفوائد المستفادة منها، مع التفريق بين الطيب المطيع والخبيث العاصي. وختم المقطع بالتحذير من البخل، وحبّ الأموال والدنيا، وهما من أسباب النفاق والخيانة. ، كما دعت الآيات المسلمين إلى الصبر على الأذى الذي سيلاقونه من اليهود والنصارى بالقول والفعل.

مناسبة هذا المقطع لمحور السورة:

المواضيع المتناولة في هذا المقطع بدروسه الأربعة شديدة المناسبة لمحور السورة، فقد تناول هذا المقطع مواضيع من أركان وشعب الإيمان باللّه تعالى ولوازم توحيده عز وجل، منها: وجوب طاعة اللّه وحده وموالاته، وعدم موالاة أعدائه، والتوكل عليه، والإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والجزاء، والإيمان بأن الأمور كلها بيد اللّه تعالى وحده لا شريك له، وهو الذي يعلم ما في القلوب وما في الصدور، وهو الذي يحيي ويميت، والإيمان بأن النصر من عند اللّه تعالى، والإيمان بإرسال الرسل، وإنزال الكتب لهداية الناس، واعتقاد أن النفع والضر بيد اللّه تعالى، وأنه على كل شيء قدير، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأنه لا يعلم الغيب إلا اللّه تعالى، وأن الأمور كلها عائدة إلى اللّه تعالى، وأن ملك وميراث السموات والأرض إليه عز وجل، وأن الموت حق على جميع الخلق. وهكذا نجد أن هذا المقطع قد حشد بالإيمانيات حشداً. واللّه أعلم بأسرار كلامه.

الدرس الأول :التحذير من طاعة الأعداء، ومن التنازع والتخذيل[١٤٩ - ١٥٨]

الآية	التفسير
(149)	*ولما ذكر الله تعالى حال المقتدين بالأنبياء ، حذر الصحابة والمؤمنون من اتباع سبيل الكفار والأعداء وهم مصادر الخطر الخارجي على الدين ، في مسيرة جهادهم المبارك فقال : يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا ......)-المنجد- *أنه لَمَّا أمر اللّهُ تعالى بطاعتِه المُوجِبةِ للنَّصر والأجْر، وختَم بمحبَّته للمُحسِنين، حذَّر من طاعةِ الكافرين المقتضيةِ للخِذلان؛ رَغبةً في موالاتِهم ومُناصَرتهم ، -المحرر-
(150)	أنَّه لَمَّا كان التَّقديرُ في الآية السَّابقة: فلا تُطيعوهم؛ إنَّهم ليسوا صالحين للولايةِ مُطلقًا ما دُمْتم مؤمنين، عطفَ عليه قوله :بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ مخبرًا بأنَّه ناصِرهم، وأنَّ نَصْره لا يُساويه نصرُ أحدٍ سواه، فقال :بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150)
(151)	أنَّ اللّهَ تعالى أبان أنَّه مَولى المؤمنين، وأنَّه خيرُ النَّاصرين، وأنَّ مَن نصَره، سبَّب له جميعَ أسبابَ النَّصر، وأزال عنه كلَّ أسباب الخِذلان، فمنَع غيره- كائنًا من كان- من إذلاله فذكَر هاهنا مِثالًا على وَلايته ونُصْرته للمؤمنين، وقرَّر ذلك بقوله مُحقِّقًا للوعدِ : سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ
(152)	أنَّه لَمَّا وعَد اللّهُ تعالى المؤمنين في الآية المُتقدِّمة إلقاءَ الرُّعبِ في قلوب الذين كفروا، أكَّدَ ذلك بأنْ ذَكَّرهم ما أنجَزهم من الوعدِ بالنَّصر في واقعةِ أُحد؛ فإنَّه لَمَّا وعدَهم بالنُّصرةِ بشرْط أنْ يتَّقُوا ويَصبِروا؛ فحينَ أَتَوْا بذلك الشَّرطِ لا جرَمَ وفَّى اللّهُ تعالى بالمشروطِ وأعطاهم النُّصرةَ، فلمَّا تركوا الشَّرطَ لا جرَمَ فاتَهم المشروطُ ، فقال :وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ) –المحرر-

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣)

١٤٩←(٣)←١٥١
٤- تحذيرُ المؤمنينَ من طاعةِ الكافرينَ. ٥- اللهُ ينصرُ أولياءَه، ويُلقي الرعبَ في قلوبِ أعدائِه.

١٥٢←(٢)←١٥٣
٦- أسبابُ الهزيمةِ في غزوةِ أُحدٍ بعد أنْ رأوا مبادئَ النصرِ: التنازعُ والتَّعلقُ بالدُّنيا والطمعُ في الغنائمِ ومخالفةُ النَّبي ﷺ لمَّا أمرَهُم بالبقاءِ في أماكنِهم على كلِّ حالٍ، ثُمَّ بيانُ هروبِهم من العدوِّ، والنَّبيُّ ﷺ يناديهم فلا يلتفتونَ.

١٥٢- ☑ ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ أي: تقتُلونهم قتلاً شديدًا، وليست من (الإحساس)، ١٥٣- ﴿تُصْعِدُونَ﴾: تصعَدون في الجبلِ هاربين، ﴿وَلَا تَلْوُونَ﴾: لا تلتفتون.

(١٥٢) لا تأمنْ على نفسِك الفتنةَ ووقوعَ المعصيةِ؛ قال تعالى عن الصَّحابة: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.
(١٥٣) ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يرى أعمالكم ويعلمُ نواياكم ولا تخفى عليه خافيةٌ وسيجازيكم على ذلك.

١٤٩: آل عمران [١٠٠]، ١٥١: الأنفال [١٢]، ١٤٩: المائدة [٢١]، ١٥٣: الحديد [٢٣].

والمعنى: ولقد حقق الله تعالى ـ لكم أيها المؤمنون ـ ما وعدكم به من النصر على أعدائكم، إذ أيدكم في أول معركة أحد بعونه وتأييده، فصرتم تقتلون المشركين قتلاً ذريعاً شديداً بإذنه وتيسيره، ورعايته. روى البخاري عن البراء بن عازب، قال: «جعل النبي ﷺ على الرجال يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير فقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتدون قد بدت خلاخِلهن وأسوقهن[٢] رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ، قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين..»[٣].

ثم بين ـ سبحانه ـ أن ما أصاب المسلمين من ابتلاء وجراحات بعد ذلك كان بسبب فشلهم وتنازعهم فقال ـ تعالى ـ: ﴿حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون﴾.

والفشل: الجبن، والمراد جبنتم، وضعفتم. يقال: فَشِل يفْشَل فهو فشِل وفَشْل[٣].

والتنازع: التخالف، والمراد بالعصيان هنا عصيان أمر الرسول، وقد رتب الأفعال الثلاثة في الآية على حسب ترتيبها في الحصول[٤]..

قال الفخر الرازي: فإن قيل: ما الفائدة في قوله: ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾؟ فالجواب عنه: أن المقصود منه التنبيه على عظم المعصية، لأنهم لما شاهدوا أن الله تعالى أكرمهم بإنجاز الوعد كان من حقهم أن يمتنعوا عن المعصية، فلما أقدموا عليها لا جرم سلبهم الله ذلك الإكرام، وأذاقهم وبال أمرهم[٦].

قال القرطبي: قوله سبحانه: ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ يعني الغنيمة.

قال عبد الله بن مسعود: «ما شعرنا أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد..»[١].

﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ هم الذين ثبتوا في مركزهم، ولم يخالفوا أمر نبيهم ﷺ مع أميرهم عبد الله بن جبير[٢].

ثم قال تعالى: ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾.

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: وإنما قال: ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ ليدل على أن ذلك الصرف بإذن الله وتقديره، كما كان القتل بإذن الله، وأن حكمته من الابتلاء، ليظهر للرسول وللناس من ثبت على الإيمان من غيره، ولأن في الابتلاء أسراراً عظيمة في المحاسبة بين العبد وربه سبحانه وقد أجمل هذا الابتلاء هنا وسيبينه.

وعقب هذا الملام بقوله: ﴿ولقد عفا عنكم﴾ تسكيناً لخواطرهم. وفي ذلك تلطفّ معهم على عادة القرآن في تقريع المؤمنين.

وفيه أيضاً دلالة على صدق إيمانهم إذ عجل لهم الإعلام بالعفو لكيلا تطير نفوسهم رهبة وخوفاً من غضب الله تعالى[٣].

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بقوله: ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ تأكيد ما اقتضاه قوله: ﴿ولقد عفا عنكم﴾.

ويستفاد من التعبير بكلمة: ﴿صرفكم﴾ دون كلمة: «هزمتم» لأن ما حدث في أحد لم يكن هزيمة وإن لم يكن نصراً، لأن الهزيمة تقتضي أن يولي المسلمون الأدبار وأن يتحكم فيهم أعداؤهم وما حدث في أحد لم يكن كذلك.

ثم فصل ـ سبحانه ـ ما حدث في المعركة، فبين ما كان من بعضهم بعد أن اضطربت أحوالهم، وجاءهم أعداؤهم من أمامهم ومن خلفهم بسبب ترك معظم الرماة لأماكنهم، فقال تعالى: ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٥٣﴾[٢].

﴿تصعدون﴾ من الإصعاد وهو الذهاب في صعيد الأرض والإبعاد فيه، يقال: أصعد في الأرض إذا أبعد في الذهاب وأمعن فيه، فهو الصعد.

قال القرطبي: الإصعاد: السير في الأرض في مستو من الأرض وبطون الأودية والشعاب، والصعود: الارتفاع على الجبال والدرج[٣]...

وعن السدي قال: لما شدّ المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم، دخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، فذكر الله صعودهم على الجبل، ثم ذكر دعاء نبي الله ﷺ فقال: ﴿إذ تصعدون﴾..

وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: والغم الأول القتل والجراح والغم الثاني الإرجاف بمقتل النبي ﷺ وقيل: الغم الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والثاني استعلاء المشركين عليهم وعند ذلك قال النبي ﷺ: (اللهم لا يَعْلُنَّ علينا)، والباء في ﴿بغم﴾ على هذا بمعنى على، وقيل: هي على بابها. والمعنى أنهم غموا النبي ﷺ بمخالفتهم إياه فأثابهم بذلك غمهم بمن أصيب منهم[٣].

وقوله: ﴿لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم﴾ تعليل لقوله: ﴿ولقد عفا عنكم﴾ أي: ولقد عفا الله تعالى عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من غنائم ونصر، ولا على ما أصابكم من جراح وآلام، فإن عفو الله ـ تعالى ـ يذهب كل حزن، ويمسح كل ألم.

وقال الزمخشري: معنى: ﴿لكي لا تحزنوا﴾ لتتمرنوا على تجرع الغموم، فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع، ولا على مصيب من المضار..

وقوله: ﴿والله خبير بما تعملون﴾.

أي والله تعالى عليم بأعمالكم خبير بما انطوت عليه نفوسكم، وبهذا ختمت الآية الكريمة وفيها تربية للمؤمنين بعد الغزوة حيث قص ـ سبحانه ـ خبرهم وما حصل منهم. ثم ذكر المؤمنين بنعمة عظيمة أنعمها عليهم، حيث أنزل على طائفة منهم النعاس الذي أدخل الطمأنينة على قلوبهم، وزال الخوف والفزع من نفوسهم فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾[٢].

قال ابن كثير: يقول تعالى ممتناً على المؤمنين فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح في حال همهم وغمهم، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان، كما قال في سورة الأنفال: ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾ فعن ابن مسعود قال: النعاس في القتال من الله، وفي الصلاة من الشيطان[١].



ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٤ ←(١)→ ١٥٤
٧- عنايةُ اللهِ بأوليائِه وحفظِه لهم، فألقى في قلوبِهم اطمئنانًا وغَشِيَ النَّومُ طائفةً منهم. ٨- الأعمارُ بيدِ اللهِ. ٩- الهزيمةُ في أُحدٍ امتحانٌ لِما في الصدورِ من الإخلاصِ والثباتِ.

١٥٧ ←(٣)→ ١٥٥
١٠- الفرارُ سببُه الذنوبِ وطاعةِ الشيطانِ، ثُمَّ لمَّا حَذَّرَ في الآيةِ السابقةِ من وسوسةِ الشياطينِ التي أدَّتْ إلى هزيمةِ أُحدٍ حَذَّرَ هنا من أقوالِ المنافقينَ، ثُمَّ رَغَّبَ في الجهادِ.

١٥٤- ﴿مَضَاجِعِهِمْ﴾: مصارعهم، ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: ليميز، ١٥٥- ﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾: أوقعهم في الزلل، ١٥٦- ﴿ضَرَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: سافروا للتجارة.

(١٥٤) ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ ...﴾ آجالُ العبادِ محددةٌ، لا يُعجلها الإقدامُ والشجاعةُ، ولا يؤخرها الجبنُ والحرصُ.
(١٥٤) ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ يحلُّ الابتلاءُ بالعبادِ ليختبرَ اللهُ ما في صدورِهم من حُسنِ الظنِّ به أو عدمِه.
(١٥٥) ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من عقوبةِ الذنبِ: الذنبُ بعدَه، وأيضًا: عدمُ التوفيقِ إلى الطاعةِ.

(154)	أنَّ اللّه تعالى لَمَّا وعَد بنصرِ المؤمنين على الكافرين، وهذا النَّصرُ لا بدَّ وأنْ يكون مسبوقًا بإزالةِ الخوف عن المؤمنين- بيَّن في هذه الآية أنَّه تعالى أزالَ الخوفَ عنهم؛ ليصيرَ ذلك كالدَّلالةِ على أنَّه تعالى يُنجِز وعْدَه بنصْرِ المؤمنين. -المحرر- **ولما انصرف المشركون من أحد؛ راجع بعضهم بعضا في طريق العودة: لماذا لم يستأصلوا المسلمين؟ ويجهزوا على من بقي منهم، وأرادوا الرجوع لهذا الغرض، وسمع المسلمون بالأمر، فأصابهم الخوف؛ فطمأنهم اللّه تعالى بأن قريشا لن يرجعوا، وأنه سيلقي في قلوبهم الرعب؛ لئلا يفعلوا ما أرادوا. ولما نزلت بالمسلمين المصيبة العظيمة، بالقتل والجراح وعلو الأعداءعليهم؛أصابهم غم كبير بسبب ذلك، وكانوا يخافون أيضا أن يتوجه المشركون الى المدينة بعد انصرافهم من المعركة؛ فكان من رحمة اللّه تعالى بهم: أن خفف عنهم هذا الغم ونفسه، بنعاس غشيهم في آخر المعركة، كان سببا في راحة أجسادهم المنهكة، وطمأنة نفوسهم. -المنجد-
(155)	ولما ذكر اللّه تعالى حال المنافقين؛أعقبه بتوجيه الخطاب الى المسلمين، فقال –عزوجل-: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا) أي:أدبروا وهربوا، وانسحبوا مواقعهم (مِنْكُمْ) أيها المسلمون. وقد انهزم أكثر جيش المسلمين، حتى لم يبق مع النبي(صلى اللّه عليه وسلم)الا نحو ثلاثة عشر رجلا (يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) وهما: جمع المسلمين وجمع الكفار، في غزوة أحد. -المنجد-
(156)	لَمَّا بيَّن اللّه- سبحانه- وتعالى للمؤمنين أنَّ هزيمةَ مَن تولَّى منهم يوم أُحُدٍ كانت بوَسواسِ من الشيطان استزلَّهم فزلُّوا، أراد أنْ يُحذِّرهم من مثلِ تلك الوسوسةِ الَّتي أفسدَ الشَّيطانُ بها قلوبَ الكافرين ، فقال(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا) -المحرر-
(157)	لَمَّا نهى اللّهُ تعالى المؤمنين عن أنْ يكونوا كالَّذين كفروا وقالوا ما قالوا في شأنِ مَن مات في سفَرٍ أو غزوٍ- بيَّن لهم ثمرةَ فواتِ أنفسِهم في الجهادِ بالموتِ أو القتْلِ؛ ليكونَ ذلك موجبًا لتسليمِ الأمرِ للخالِق، وعدمِ التَّخاذُل عن الغزو ، فقال: (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) -المحرر-
(158)	لَمَّا رغَّب اللّهُ تعالى المجاهدِينَ في الآيةِ الأُولى بمغفرتِه ورحمتِه، زادَ في إعلاءِ الدَّرجاتِ، فرغَّبهم هاهنا بالحشر إليه ، فقال :(وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحشَرُونَ) . -المحرر-



الدرس الثاني:
أهمية الشورى ووجوب طاعة رسول الرحمة
١٥٩ - ١٦٤

-اعلم أن القوم لما انهزموا عن النبي صلى اللّه عليه وسلّم يوم أُحُد ثمّ عادوا لم يخاطبهم الرسول صلى اللّه عليه و سلّم بالتغليظ و التشديد و إنّما خاطبهم بالكلام الليّن ثمّ بيّن سبحانه وتعالى أنّه عفا عنهم وزاد في الفضل و الإحسان بأن مدح الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم على عفوه عنهم و تركه التغليظ عليهم فقال:" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ"، ومن أنصف علم ان هذا ترتيب حسن في الكلام.-



وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ

١٥٨←(٤)←١٦١
لمَّا عفا عمَّا حدث من الصحابة في أُحد أمرَ نبيَّه ﷺ هنا أن يعاملَهم بالرفق ويعفوَ عنهم ويستشيرَهم،
١١- من نصَرَه الله فلا غالبَ له،
١٢- تحريم الغُلول: السَّرِقة من الغنيمة قبل القِسْمة.

(159) لَمَّا وَعَظَ اللّه تعالى الصَّحابةَ رضي اللّه تعالى عنهم، أَتْبَعَه تحبيبَ النَّبيِّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ فيما فعل بهم من الرِّفق واللِّين، مع وجودِ سببِ الغضبِ الموجِبِ للعُنف والسَّطوة من اعتراضٍ على ما أشار به، ثمَّ مخالفتِهم لأمْرِه في حِفظِ المركزِ والصَّبرِ والتقوى، ثمَّ خِذلانِهم له وتقديمِ أنفسِهم على نفسه الشَّريفة، ثمَّ عدمِ العطفِ عليه وهو يَدْعوهم إليه ويأمُرُ بإقبالِهم عليه، ثمَّ اتِّهامِ مَن اتَّهمه، إلى غير ذلك من الأمورِ الَّتي تُوجِبُ لرؤساءِ الجيوشِ وقادةِ الجنودِ اتِّهامَ أتْباعِهم، وسوءَ الظَّنِّ بهم، الموجِبَ للغضبِ والإيقاعِ ببعضِهم؛ ليكونَ ذلك زاجرًا لهم عن العَودِ إلى مثلِه ، فقال تعالى:فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) -المحرر-

ولما كان ما حصل في أحد من الهزيمة: مصيبة عظيمة، خالف فيها الجنود أمر قائدهم، وانهزم أكثرهم، فثبت (صلى اللّه عليه وسلم)، ودعاهم الى الرجوع؛ ذكر اللّه عزوجل هنا مكانة هذا القائد، وفضله، وحسن خلقه،وما ينبغي عليه تجاه جنوده، الذين تسببوا في الهزيمة. -المنجد-

(160) ولما حصلت الهزيمة في أحد؛ بسبب تقصير بعض المسلمين ومعصيتهم؛ حذرهم اللّه تعالى من فعل أسباب الخذلان، وبين لهم أنهم اذا عادوا اليه نصرهم، واذا تولوا عنه خذلهم. -المنجد-

(161) أنَّ اللّهَ تعالى لَمَّا حثَّ على الجهادِ أتْبَعَه بذِكرِ أحكامِ الجهاد، ومِن جملتها: المنعُ من الغُلول -المحرر.

وأيضًا لَمَّا بيَّنَ اللّهُ تعالى أنَّ النَّصرَ والخِذلانَ بيده وحْدَه، وذلك يستلزمُ التَّحريضَ على طلَبِ مَرْضاته؛ ليكونَ لطيفًا بمَن يُرضُونه، ولَمَّا كان الغُلولُ مِن أعظمِ مُوجِباتِ الخِذلانِ، أو أعْظَمَها، والنَّزاهةُ عنه مِن أعظمِ مُوجِباتِ النَّصرِ- كان أنسبَ الأشياءِ لتعقيبِ هذه الآيةِ -المحرر.

وكذلك لَمَّا أمرَهم اللّهُ تعالى بالتوكُّل في الآيةِ السَّابقة، حثَّهم على ألَّا يأتوا بما يَقدحُ في التوكُّل؛ كالغُلولِ وما يُدانيه . -المحرر-

ولما ذكر اللّه تعالى حسن خلق نبيه (صلى اللّه عليه وسلم)؛ ذكر هنا براءته مما اتهمه بعض المنافقين، من أنه غل من غنيمة قبل قسمتها. -المنجد-

نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

٧١

الغَنيمةِ قبلَ القِسْمةِ.

١٦٢←(٤)←١٦٥

١٣ - لا يَستوي مَن كان قَصْدُه رِضا ربِّه ومَن ليس كذلك، ثُمَّ بيانُ امتنانِ اللهِ على المؤمنينَ ببعثتِه ﷺ، وتذكيرُهم بنصرِ بَدرٍ، ١٤ - الخِذلانُ والانهزامُ إنَّما يَحصُلُ بشُؤمِ المعصيةِ.

١٥٩- ﴿فَظًّا﴾: سيِّئ الخُلق، ﴿لَانفَضُّوا﴾: ذهبوا وتفرقوا، ١٦٥- ﴿مِّثْلَيْهَا﴾: ضعفيها من القتل والأسرى يوم بدر.

(١٥٩) ﴿وَلَوْ كُنتَ ... لَانفَضُّوا ...﴾ من (تفرق) عنه الناس فليراجع (تعامله وفظاظته).

(١٥٩) أكمل الخلق عقلاً قيل له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ فكيف بغيره؟!

(١٦٥) ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ قالها الله لأطهر أهل الأرض بعد الأنبياء، ونحن نأنف من أن يذكرنا أحد بعواقب ذنوبنا.

١٦١: الأنفال [٦٧]، ١٦١: البقرة [٢٨١]، آل عمران [٢٥]، النحل [١١١]، الجاثية [٢٢]، ١٦٤: الجمعة [٢].

162•الصادق حقًّا في طلب رضوان اللّه تعالى يبذل في طلبه ما يستطيع من الاتِّباع، ولا يتَّكل على الأمانيِّ والأحلام.

•لا يستوي في حُكم اللّه وحِكمته، وفِطَر خَلْقه وعباده، مَن كان دأبَه طلبُ ما يرضي ربَّه، ومَن كان مُكبًّا على مخالفته وعصيان أمره.

163•أهل الرضوان في درَجاتٍ متفاوتة صاعدة، وأهل السَّخَط في دركات متفاوتة هابطة.

•لن يظلمَك اللّه في الدرَجات؛ فهو بصيرٌ بعملك، خبيرٌ بإحسانك وقصدك.

(162)	**ولما ذكر اللّه تعالى توفيته كل نفي ما كسبت -على وجه العموم-؛ أردف ذلك بالتفصيل و المقارنة، و أن جزاء المطيعين ليس كجزاء السيئين. -المنجد-** ***أنَّ اللّهَ تعالى لَمَّا قال :ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ أَتْبَعَه بتفصيلِ هذه الجملة، وبيَّن جزاءَ المُطيعين ما هو، وجزاءَ المُسيئين ما هو.** . -المحرر- **وأيضًا لَمَّا أخبَر اللّهُ تعالى أنَّه لا يقعُ يومَ القيامةِ ظُلمٌ أصلًا، تسبَّبَ عنه الإنكارُ على مَن حدَّثَتْه نفسُه بالأمانيِّ الكاذبة، فظنَّ غيرَ ذلك من استواءِ حالِ المُحسِنِ وغيره، أو فعَل فعلًا وقال قولًا يؤدِّي إلى ذلك؛ كالمُنافقين وكالمُقبِلين على الغنيمةِ ، فقال تعالى(أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (162) -المحرر-**
(164)	**لَمَّا فصَّل اللّهُ تعالى أحوالَ النَّاسِ بدأ بالمؤمنين بذِكْرِ ما امتَنَّ اللّهُ تعالى عليهم به ، فقال (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ)** . -المحرر- ***ولما نفى اللّه تعالى الغلول و الخيانة عن نبيه (صلى اللّه عليه وسلم)؛ مدحه وبين منة اللّه به على المؤمنين. -المنجد-**

164•بعثةُ الرسول إحسانٌ إلى العالمين، ومنَّةٌ خاصَّة للمؤمنين؛ إذ أخرجهم اللّه بها من الظُّلمات إلى النور، وهداهم إلى الصِّراط المبين.

•من حكمة اللّه في إرسال الرسول إلى الناس من جنسهم، أن يرحمَهم ويعطفَ عليهم؛ فيألفونه ويحبُّونه، ويهتدون بهديه.

•تلاوة آيات اللّه على عباد اللّه من وظائف الرسُل التي امتنَّ اللّه بهم على عباده، ولا ينبغي للداعية أن يجرِّدَ دعوته ومواعظه منها.

•أوامر رسول اللّه ﷺ ونواهيه لا تخرُج عن قصد التزكية، فمَن شاء امتثل فتزكَّى، ومَن شاء عصى فغوَى.

•لا حياةَ للناس ولا طُمَأنينةَ دون نبيٍّ يعلِّقهم بربِّهم، ويخرجهم من ضلالهم، ويهديهم للحقِّ.

الدرس الثالث: أسباب الهزيمة وفوائدها، والفرق بين الخبيث والطيب[١٦٥-١٧٩]

قرآنا عجبا

(165)	ثم عادت الآيات لبيان أسباب الهزيمة. -المنجد-
(166)	أنه لَمَّا كانت نسبةُ المصيبةِ إليهم في قوله تعالى :قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ربَّما أوهَمَتْ أنَّ بعضَ الأفعالِ خارجٌ عن مُرادِه تعالى - [21] قال تعالى (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ) -المحرر- *-لما سلى الله تعالى عباده المؤمنين، حين أصابهم ما أصابهم يوم «أحد»، أخبر أن ما أصابهم يوم التقى الجمعان، من القتل والهزيمة، كان بإذنه وقضائه وقدره.
(169)	**علاقة الآية بما قبلها :** ولما بيّن الله تعالى أنه لا مفر من الموت والقدر، ردّ على قول أهل النفاق عن مقتل إخوانهم، وبشّر أهل الإيمان بحياة من فقدوا من الإخوان. – التفسير الموضوعي- **سبب: النزول** عن ابنِ عبَّاسٍ رضي اللّه عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللّه صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم((لَمَّا أُصيبَ إخوانُكم بأُحُدٍ، جعَلَ اللّهُ أرواحَهم في أجوافِ طيرٍ خُضرٍ، ترِدُ أنهارَ الجنَّة، وتأكلُ مِن ثمارِها، وتأوي إلى قناديلَ مِن ذهبٍ معلَّقةٍ في ظلِّ العرش، فلمَّا وجَدوا طِيبَ مأكلِهم ومَشربِهم ومَقيلِهم، قالوا: مَن يُبلِّغُ إخوانَنا عنَّا أنَّا في الجنَّة نُرزَقُ؛ لئلَّا يَزهَدوا في الجِهاد، ولا يَنكُلوا في الحربِ؟ فقال اللّهُ عزَّ وجلَّ: أنا أُبلِّغُهم عنكم، فأنزَلَ اللّهُ تعالى: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾

٧١

الجزء الرابع — سورة آل عمران ٣

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ

١٦٦←(٣)←١٦٨

١٥- ما أصاب المؤمنين يوم أحد لحكمة بالغة؛ حتى يظهر المؤمنون الصادقون، ويظهر المنافقون أصحاب عبد الله بن أُبَيّ ابن سَلُول الذين رجعوا معَهُ.

١٦٩←(٥)←١٧٣

بعد ذكر تثبط

165•لو تبصَّرتَ عظيمَ ما سلف من نِعَم اللّه عليك، وأفضاله إليك، لهان ما تُلاقيه من البلاء.

•جهاد النفس كجهاد الأعداء؛ مَن أهمل ثغورَها، وفرَّط في تهذيبها، وقصَّر في تقويمها، أصابته في مقتَل.

166•-المؤمن يجمع بين محاسبته نفسَه في تقصيرها، وإيمانه بأنَّ ما يجري إنما هو بإذن اللّه وتقديره، فينجو من جَلد ذاته، ومن استمراء تفريطه.

•كلُّ ما يصيبك من مِحَنٍ وملمَّات قدَرٌ مكتوب لحكمة يعلمها اللّه، فسلِّم لأمره تفُز بالرضا وثواب الاحتساب.

•إذا رزقك اللّه صبراً على المصيبة فاحمدَه، فإنها شهادةٌ لك منه على حُسن إيمانك.

تطبيق مصحف التدبر

168•ما كان المنافق ليمسحَ لك جرحًا، ولا ليواسيَك في مصيبة، بل لا همَّ له إلا التَّبكيتُ والتقريع واللوم.

•ليحذَر المؤمن من الاعتراض على أقدار اللّه، والتحسُّر على ما فاتَ في غير طاعة اللّه، فإنَّ (لو) تفتح عملَ الشيطان.

(172)	أنَّ اللّهَ تعالى لَمَّا ذمَّ المنافقِين برُجوعِهم من غير أنْ يُصيبَهم قرحٌ، ومدَحَ أحوالَ الشُّهداءِ ترغيبًا في الشَّهادة، وأحوالَ مَن كان على مِثل حالِهم ترغيبًا في النَّسج على منوالِهم، وختَم بتعليق السَّعادةِ بوصف الإيمان، أخَذ يَذكُرُ ما أثمَر لهم إيمانُهم من المبادَرةِ إلى الإجابةِ إلى ما يَهديهم إليه صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ، إشارةً إلى أنَّه لم يَحمِلْ على التَّخلُّفِ عن أمْره مِن غير عُذرٍ إلَّا صريحُ النِّفاقِ . -المحرر- **سببُ النُّزول:** عن ابنِ عبَّاسٍ رضِي اللّهُ عنهما قال :(لَمَّا انصرَفَ المشركون عن أُحُدٍ وبلَغوا الرَّوحاءَ، قالوا: لا محمَّدًا قتلتموه، ولا الكواعبَ أردَفْتُم، وبِئسَ ما صنعتُم، ارجِعوا، فبلَغ ذلك رسولَ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ، فندَب النَّاسَ فانتدبوا حتَّى بلَغوا حمراءَ الأسدِ وبئرَ أبي عِنَبَةَ، فأنزَل اللّهُ تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ} "آل عمران:
173	ولما ذكر اللّه تعالى ما أعده للشهداء، وحسن مآب الشهداء أحد؛ أثنى على الذين بقول أحياء يواصلون الجهاد بعد تلك الغزوة، رغم ما أصابهم من جراح وتعب - طاعة للّه ورسوله.- —المنجد-

١٦٩←(٥)←١٧٣

بعدَ ذكرِ تثبيطِ المنافقينَ للرَّاغبينَ في الجهادِ ذكرَ حالَ الشهداءِ عندَ اللهِ، ثُمَّ الحديثُ عن غزوةِ «حَمْرَاءِ الأَسَدِ» في اليومِ التالي لغزوةِ أُحدٍ، والثناءُ على الصحابةِ إذْ خرجُوا بعدما أصابتْهم الجروحُ.

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

٧٢

١٦٨- ﴿فَادْرَءُوا﴾: ادفعوا، ١٧٢- ﴿الْقَرْحُ﴾: الجراح، ١٧٣- ﴿جَمَعُوا لَكُمْ﴾: جمعوا لكم الجيوش، ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: يكفينا الله كيد الكافرين.

(١٦٨) ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ احذر المثبطين.

(١٦٩) قدم (الرب) على (الرزق) فقال: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ لأن جوار الله أعظم رزق.

(١٧١) ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كل شيء، حتى البسمة.

(١٧٢) ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ...﴾ انشر وبين للناس فضل الصحابة. ١٦٧: الفتح [١١]، المائدة [٦١]، ١٦٩: البقرة [١٥٤].

172•ما أعظمَ كرمَه سبحانه! عفا عنهم وواساهم في مُصابهم، ثم أثنى عليهم وأعظم أجورَهم.

•المصيبة لا تمنع المؤمنَ الحقَّ من إجابة أمر اللّه وامتثال شرعه، والوقوف عند حدوده.

•أولئك القومُ الذين أُصيبوا بانكسارٍ وجرح، هاهم أُولاء يستجيبون لربِّهم استجابةً سريعة لم تخالطها كراهيةٌ أو يعتريها تردُّد، فما بالنا نتكاسلُ عن الإجابة ولم يُصِبنا مثلُ الذي أصابهم؟!

•من أسباب الانتظام في سِلك المتَّقين المحسنين سرعةُ الامتثال للتكليف، ومن هنا قدَّم تعالى ذكرَ استجابتهم على وصفهم بالتقوى والإحسان.

173-القلوب المؤمنة لا تَثنيها الأراجيف، عن القيام بالتكاليف، فإذا جاءها أمرٌ من اللّه عَزَمَت وتوكَّلت، وطرحت المخاوفَ والأوهام.

•الإيمان باللّه تعالى، وصدق التوكُّل عليه، يُزيلان من القلب كلَّ أراجيف المُرجفين، ويملأانه بالطُّمأنينة واليقين.

تطبيق مصحف التدبر

(174)	لَمَّا ذكَر اللّهُ تعالى أنَّهم توكَّلوا عليه كفاهم سُبحانه ما أهمَّهم، وردَّ عنهم بأسَ مَن أرادَ كيدَهم
(175)	لَمَّا جزَى اللّهُ تعالى الَّذين استجابوا بالسَّلامةِ والغَنيمة، ورغَّبهم فيما لديه لتولِّيهم إيَّاه، أتْبَعَ ذلك بما يَزيدُهم بصيرةً من أنَّ المخوِّفَ لهم مَن كَيدُه ضعيفٌ، وأمْرُه هيِّنٌ خفيفٌ واهٍ سَخيفٌ، وهو الشَّيطان، وساق ذلك مَساقَ التَّعليل لِمَا قبْلَه، مِن حيازتِهم للفضل، وبُعدِهم عن السُّوءِ بأنَّ وليَّهم اللّهُ، وعدوَّهم الشَّيطانُ، فقال التفاتًا إليهم بزيادةٍ في تنشيطِهم أو تشجيعِهم وتثبيتِهم . -المحرر-
(176)	لَمَّا مدَح اللّهُ تعالى سبحانه وتعالى المسارعين في طاعتِه وطاعةِ رسولِه صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ، وختَم ذلك بالنَّهيِ عن الخوفِ من أولياءِ الشَّيطانِ، أعْقَبه بذَمِّ المسارِعين في الكُفر، والنَّهيِ عن الحزنِ مِن أجلِهم ، فقال: وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) -المحرر-
)177)	ولما ذكر اللّه تعالى عاقبة المسارعين؛ ذكر بعدها عذاب من اختار الكفر، وقدمه، وآثره._المنجد-
(179)	لَمَّا بيَّنَ اللّهُ تعالى عُقوبةَ المنافقينَ الأُخْرَويَّةَ، أَتْبَعَها بوعيدِه للمنافقين بالعقوبةِ الدُّنيويَّةِ التي هي الفضيحةُ والخِزْي بالتَّمييزِ بينهما؛ لِيُظهِرَ المؤمِنَ من المنافقِ. (12) وأيضًا لَمَّا أخبرَ اللّهُ تعالى عن الأحوالِ التي وقعتْ يومَ أُحدٍ من القتْلِ والهزيمة، والتي أظهرتِ المؤمِنَ مِن المنافِق؛ لأنَّ المنافقين خافوا ورجَعوا وشَمَتوا بكثرة القتْلى، ثمَّ ثبَّطوا وزهَّدوا المؤمنين عن العَوْد إلى الجِهاد- أعقبَ سبحانه وتعالى ذلك ببيانِ أنَّه لا يجوزُ في حِكمتِه أنْ يَذَرَكم على ما أنتُم عليه من اختلاطِ المنافقين بكم وإظْهارِهم أنَّهم من أهْل الإيمان؛ فكان إلقاءُ هذه الحوادثِ والوقائع؛ حتَّى يَحصُلَ هذا الامتياز ؛ فقال تعالى: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾

١٧٤←(٤)→١٧٧
رجوعُ المؤمنينَ من «حَمْرَاءِ الأَسَدِ» بالثوابِ من اللهِ لم يمسَسْهم سوءٌ، والنَّهي عن الخوفِ من أولياءِ الشَّيطانِ، وذَمُّ المسارِعينَ في الكُفرِ، والنَّهيِ عن الحُزنِ مِن أجلِهم.

١٧٨←(٣)→١٨٠
لمَّا فَرِحَ الكفارُ بالنَّصرِ يومَ أُحُدٍ حذَّرَهم اللهُ من الاغترارِ بإمهالِه لهم، ثُمَّ بيَّنَ أن هذا الابتلاءَ لتمييزِ المؤمنينَ من المنافقينَ، ولمَّا حضَّ على بذلِ النفسِ في الجهادِ حضَّ هنا على بذلِ المالِ في الجهادِ، وذمّ البخل.

١٧٨- ﴿نُمۡلِي﴾: نُمهلُهم بطولِ البقاءِ، ١٧٩- ﴿لِيَذَرَ﴾: يترك، ١٨٠- ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾: يجعل لهم طوقًا.

(١٧٥) على قدرِ إيمانِ العبدِ يكونُ خوفُه من الله ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

(١٧٨) مجرَّدُ طولِ العُمرِ ليس خيرًا للإنسانِ إلا إذا أحسنَ العملَ ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ... إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗا﴾ فاحذرْ من الإمهالِ، وبادرْ بالتوبة.

(١٨٠) ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ...﴾ كثيرون يَقصُرون معنى هذه الآيةِ على البخلِ بالمالِ، والمعنى أشملُ وأعمّ.

١٧٨: الأنفال [٥٩]، ١٨٠: الحديد [١٠].

- تأمَّل تطمينَ اللّه عبادَه المؤمنين مع أنهم المغلوبون، وتخويفَه أعداءهم من المشركين مع أنهم الغالبون؛ لترى لطفَه بأوليائه، وانتقامَه من أعدائه، وبيان أن كلَّ شيءٍ بقدَره وقضائه.
- مَن جاهد نفسَه عند البلاء، وتوكَّل على اللّه وحدَه، وعزم على اتِّباع مرضاته، كفاه اللّه شرَّ ما يحذَر، وأثابه أجرًا عظيمًا.
- جديرٌ بمَن تخلَّف عن امتثال أمر اللّه وفاته فضلُه، أن يتحسَّر على ما فرَّط فيه، وأن يَعَضَّ عليه أصابعَ الندم.
- من الحرب النفسيَّة التي يخوضها الشيطان مع أهل الإيمان: أنه يخوِّفهم من أعدائهم؛ حتى يزرعَ في قلوبهم الرعبَ؛ فيُقعدَهم عن مجاهدة عدوِّهم، والإنكار عليه.



الدرس الرابع : تحذير المنافقين والبخلاء، وفيها أن المال من أهم أسباب النصر، والتحذير من المال الذي كان سببا في الهزيمة[١٨٠ - ١٨٩]

(180)	لَمَّا بالغتِ الآياتُ الماضيةُ في التحريضِ على بَذْلِ الأرواحِ في الجهادِ في الآيات السَّابقة، أَردفتْه بالتحريضِ على بَذْلِ الأموالِ في الجهادِ وغيرِه، وبيَّن اللّهُ تعالى الوعيدَ الشديد لِمَن يَبخلُ
(181)	لَمَّا أمرَ اللّهُ تعالى المكلَّفين في الآياتِ السَّابقة ببَذلِ النفْس وبذْلِ المال في سبيلِ اللّه، شرَعَ بعدَ ذلك في حِكايةِ شُبُهاتِ القومِ في الطَّعْن في نُبُوَّة النبيِّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم، ومنها: أنَّ اللّهَ تعالى لَمَّا أمَر بإنفاق الأموالِ في سبيلِه قالوا: إنَّه لو طلَب الإنفاقُ في تحصيل مَطلوبه لكان فقيرًا عاجِزًا ، فردَّ اللّهُ تعالى عليهم في هذِه الآيةِ .

180•إذا رأيتَ الرجل يقبض كفَّه عن السخاء، ويمسك يدَه عن بذل ما افترضه اللّه عليه من العطاء، فاعلم أن ذلك من الخِذلان والحرمان.

•ليس بالمال وحدَه يكون العطاء، بل هو متنوِّعٌ بتنوُّع المنافع التي يهَبُها اللّه للعبد.

•طوِّق البخيلُ مالَه ببخله فلم يصِل إلى أيدي مستحقِّيه، فطُوِّقَ بذلك المال يومَ القيامة، فيا ويلَ مُطوَّقٍ للحقِّ من تطويقه به يوم الحساب!

•كيف يبخل العبدُ بما استخلفه اللّه فيه، وكلَّفه إنفاقَه في مَراضيه، وهو يعلم أنه راجعٌ إليه، وأنه سيرثُه عنه، وهو خير الوارثين؟!

•يقينك بأن الخبير مطَّلعٌ على عملك، ومجازيك على إحسانك وإساءتك، يدفعك إلى البذل في مَرضاته؛ طمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه.

181•ليس أحدٌ أصبرَ على أذًى سمعه من اللّه؛ إنه لقادرٌ على أن يبادرَهم بعقابه، غير أنه يُمهلهم فيرزقهم دون أن يناجزَهم بعذابه؛ عساهم يرجعون إلى بابه، فيسلَموا من أليم حسابه.

•هذه صفحةٌ من تاريخ اليهود المظلم، وها هم أولاءِ أبناؤهم على دربهم سائرون؛ محاربةً للّه تعالى، وعَداءً لأوليائه.

وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠

الجزء الرابع — سورة آل عمران

لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ

١٨١←(٤)←١٨٤

بعدَ ذمِّ البخلِ تأتي مقالةُ اليهودِ عن الصَّدقةِ وسوءُ أدبِهم معَ اللهِ لمَّا قالُوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، وقتلُهم الأنبياءِ، وكَذِبُهم على اللهِ، وتكذيبُهم النبيِّ ﷺ كما كَذَّبُوا مَن قبلَهُ.

١٨٥←(٢)←١٨٦

شبهتين والرد عليهما والتسلية 3 مرات في هذا الوجه

من مواقف اليهود

(185)	لَمَّا ذَكَر اللّهُ تعالى أولئك المفترين عليه من اليهود المكذِّبين برسوله، الذين وصَف صِفتَهم، وأخْبَر عَن جراءِتِهم على ربِّهم، ذَكر أنَّ مصيرَهم ومصيرَ غيرِهم إليه؛ لأنَّه قد حتَّم الموتَ على جميعِهم، وفي هذا تَسليةٌ للنبيِّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم. وأيضًا فيها تسليةُ المؤمنين على ما أصابهم يومَ أُحُد، وتفنيدُ مَزاعِمِ المنافقين: أنَّ الناسَ لو استشاروهم في القِتال، لَأشاروا بما فيه سَلامتُهم؛ فلا يَهلِكوا ، قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِلما سلاه سبحانه وتعالى بالرسل - الذين لازموا الصبر والاجتهاد في الطاعة- حتى ماتوا وأممهم، وتركوا ما كان بأيديهم عاجزين عن المدافعة، ولم يبق إلا ملكه سبحانه وتعالى، وأن الفريقين ينتظرون الجزاء -فالرسل لتمام الفوز، والكفار لتمام الهلاك- أخبر أن كل نفس كذلك؛ ليجتهد الطائع، ويقتصر العاصي. -البقاعي- * قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} المقصودُ من هذه الآيةِ: تأكيدُ تسليةِ الرَّسولِ عليه الصَّلاة والسَّلام، والمبالَغةُ في إزالةِ الحزْنِ مِن قلْبِه، وذلك من وَجهينِ: أحدهما: أنَّ عاقِبةَ الكلِّ الموتُ، وهذه الغمومُ والأحزانُ تَذهبُ وتزولُ ولا يَبقى شيءٌ منها، والحزنُ متى كان كذلك لمْ يَلتفتِ العاقلُ إليه. والثاني: أنَّ بعدَ هذه الدارِ دارًا يَتميَّزُ فيها المحسنُ عن المسيءِ، ويَتوفَّر على عملِ كلِّ واحدٍ ما يليقُ به من الجزاء، وكلُّ واحدٍ من هذينِ الوجهينِ في غايةِ القوَّةِ في إزالةِ الحُزْنِ والغَمِّ عن قلوبِ العُقلاء. –المحرر-
(186)	لَمَّا سلَّى الرسولَ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ بقوله :كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، زادَ في تسليتِه بهذه الآية؛ فبيَّنَ أنَّ الكفَّار بعدَ أنْ آذَوُا الرَّسولَ والمسلمين يومَ أُحُد، فسيُؤذونهم أيضًا في المستقبَل بكلِّ طريقٍ يُمكنهم: مِن الإيذاءِ بالنَّفس والإيذاءِ بالمالِ، والغرضُ مِن هذا الإعلامِ أنْ يُوطِّنوا أنفُسَهم على الصَّبْر وترْك الجزَع

وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

٧٤

١٨٥ ⟵ (٢) ⟶ ١٨٦

بعدَ تسليةِ النَّبي ﷺ عمَّا يلاقي بذكرِ ما لقيَ إخوانُه من الرُّسلِ أعادَ التسليةُ هنا بأن الكلَّ سيموتُ وسيلاقي حسابَه، وأن الدُّنيا دارُ ابتلاءٍ، ثُمَّ دعا المؤمنينَ إلى الصبرِ على الأذى الذي سيلاقونه.

١٨٣- ﴿تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾: تنزلُ نارٌ من السماءِ فتأكلُه علامةً على قبولِه. ١٨٤- ﴿وَالزُّبُرِ﴾: الكتبُ المنزلةُ من السماءِ.

(١٨١) ألزِمْ نفسَك الآنَ ألَّا تقولَ شيئًا إلا إذا كان مرضيًا لله تعالى، متذكرًا الآية: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾.

(١٨٥) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ليستْ معلومةً نقرأ؛ وإنَّما حقيقةٌ تستحقُّ العملَ.

(١٨٥) الموتُ ليسَ النهايةَ، بل بدايةُ النعيمِ أو بدايةُ الجحيمِ؛ فحدِّدْ مصيرَك الآنَ!

١٨١: المجادلة [١]، ١٨٢: الأنفال [٥١]، الحج [١١]، ١٨٤: فاطر [٢٥]، ١٨٥: الأنبياء [

أذى حسي (النفس والمال)

وأذى معنوي(الكلام)

•185موعظة الموت تحمل العبدَ على الاستعداد ليوم المَعاد، بما يقدِّمه من خير الزاد، فلعلَّه ينال بذلك الذُّخرِ الفوزَ العظيم.

•إذا عملتَ العملَ الصالح فارجُ جزاءه الوافيَ في يوم القيامة، لا في هذه الدنيا، فما جاءك من جزائه الحسن في حياتك فإنما هو عُربون فضلٍ مَنَّ به الرحيمُ الكريم.

•لا تستجِب لإغراءاتِ المعصية مهما تزيَّنَت لك؛ فإنك إن زَحزَحتَ نفسَك اليوم عنها مع شدَّة جذبها لها، فقد زحزحتَها عن النار غدًا إن شاء اللّه.

•قال بعضُ السلف: (الدنيا متاعٌ متروك، يوشِك أن يضمحلَّ ويزول، فخذوا من هذا المتاع، واعملوا فيه بطاعة اللّه ما استطعتم).

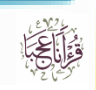
•تتعدَّد صورُ ابتلاء المؤمنين؛ فمنه ما يكون في أنفسهم، ومنه ما يكون في أموالهم، ومنه ما يكون من أعدائهم.
والعُدَّة الحصينة والدرعُ السابغة في هذه المعركة هما: الصبر والتقوى.

•إن أهل الباطل لن يدَعوا أهل الحقِّ في سلام، ولن يُخلوهم من أذيَّة الفِعال والكلام، فلا يَعجبَنَّ مؤمنٌ اليوم من شدَّة الحرب الإعلاميَّة على الإسلام وأهله.

•من لطف اللّه بعبده أنه أخبره بما سيُلاقيه من البلاء؛ لتتوطَّنَ نفسُه على وقوعه، والصبر عليه إذا وقع، فيهونَ عليه حملُه، ويلجأ إلى مُدافعته بالصبر والتقوى.

•العزمُ على الصبر والتقوى فيه كمالُ المزيَّةِ والشرف، أوَ ليس قد عزمَ اللّه تعالى عليهما، وأمرَ بهما على سبيل العزيمة؟

•الدعاة الصادقون لا يفرِّطون في دعوتهم، ولكنَّهم يحرصون عليها مهما أصابهم في سبيلها، بل إن شدائد الطريق تزيدهم ثباتًا.



الجزء الرابع — سورة آل عمران ٣

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا

١٨٧←(٣)←١٨٩

بعدَ ذكرِ إيذاءِ أهلِ الكتابِ للمؤمنينَ ذكرَ هنا أنهم كانُوا يكتمونَ ما في التوراةِ والإنجيلِ من الدلائلِ الدالةِ على نبوَّتِه ﷺ، ثُمَّ ذمَّ الذينَ يفرحونَ بمدحِ النَّاسِ بما لم يفعلُوا من الخيرِ.

١٩٠←(٥)←١٩٤

(187)	لَمَّا حكَى اللّهُ تعالى عنِ اليَهودِ شُبَهًا طاعِنةً في نُبوَّة مُحمَّدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وأجاب عنه، أتْبَعه بهذه الآيةِ، وذلك؛ لأنَّه تعالى أوجَبَ في التوراةِ والإنجيلِ على أُمَّة موسى وعيسى عليهما السَّلام أنْ يَشرحوا ما في هذين الكِتابَيْن من الدَّلائلِ الدَّالَّةِ على صِحَّة دِينِه، وصِدْقِ نُبوَّته ورسالَتِه، والمرادُ منه التعجُّب مِن حالهم، كأنَّه قِيل: كيفَ يَليقُ بكم إيرادُ الطَّعْنِ في نُبوَّته ودِينه مع أنَّ كُتبَكم ناطِقةٌ ودالَّةٌ على أنَّه يجبُ عليكم ذِكْرُ الدَّلائل الدَّالَّة على صِدْق نبوَّته ودِينه. وأيضًا فإنَّه تعالى لَمَّا أوجبَ في الآيةِ المتقدِّمةِ على مُحمَّدٍ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ احتمالَ الأذى مِن أهْلِ الكتاب، وكان مِن جُملة إيذائِهم للرَّسول صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ، أنَّهم كانوا يَكتُمون ما في التوراةِ والإنجيلِ مِن الدَّلائل الدَّالَّة على نُبوَّته؛ فكانوا يُحرِّفونها، ويَذكُرون لها تأويلاتٍ فاسِدةً؛ فبَيَّن أنَّ هذا مِن تلك الجُملةِ الَّتي يجب فيها الصَّبرُ ، فقال: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ
(188)	هذه الآيةُ مِن جملةِ ما دخَلَ تحتَ قولِه :وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا، فبَيَّن تعالى أنَّ مِن جُملةِ أنواعِ هذا الأذَى أنَّهم يَفرحون بما أَتَوْا به من أنواعِ الخُبْث والتلبيسِ على ضَعَفةِ المسلمين، ويُحبُّون أنْ يُحمَدوا بأنَّهم أهْلُ البِرِّ والتقوى والصِّدْق والدِّيانة وغير ذلك، ولا شكَّ أنَّ الإنسانَ يَتأذَّى بمشاهدةِ مِثل هذه الأحوال؛ فأمَرَ اللّهُ تعالى نَبيَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بالمصابرةِ عليها، فقال تعالى: لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا) -المحرر- **سببُ النُّزول:** عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رضِي اللّهُ عنه (أنَّ رجالًا مِن المنافقين على عَهْدِ رسولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ، كان إذا خرَجَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ إلى الغَزْو تَخلَّفُوا عنه، وفرِحوا بمقعدِهم خِلافَ رسولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ، فإذا قَدِمَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ اعتَذَرُوا إليه وحلَفُوا، وأحَبُّوا أنْ يُحْمَدوا بما لم يَفْعَلوا، فنزَلَتْ {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} رواه البخاري ، مسلم
(190)	لَمَّا كان المقصودُ من هذا الكتابِ الكريم جَذْبَ القلوبِ والأرواحِ عن الاشتغالِ بالخَلقِ إلى الاستغراقِ في مَعرفة الحقِّ والإيمان بهِ وبتوحيدِه وطاعتِه، فلمَّا طال الكلامُ في تقريرِ الأحكامِ والجوابِ عن شُبهاتِ المبطِلين، عادَ إلى إنارةِ القلوبِ بذِكرِ ما يدلُّ على التوحيدِ والإلهيَّةِ والكبرياءِ والجلالِ، فذكَر هذه الآيةَ. وأيضًا لَمَّا ذكَر اللّهُ تعالى أنَّه مالكُ السَّموات والأرضِ، وذكَر قُدرتَه، ذكَر أنَّ في خَلقِهما دَلالاتٍ واضحةً لذَوِي العقول ، فقال: (إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

المقطع الثامن: أولو الألباب يستفيدون من الآيات الكونية [١٩٠-١٩٥]

مناسبة المقطع للسابق:

لما ذكر اللّه تعالى أن له ملك السموات والأرض، وأنه على كل شيء قدير، ذكر هنا ما في خلق السموات والأرض من دلالات واضحة لذوي العقول، وأرشد إلى التفكر في هذا الخلق العظيم، تفكرًا يؤدي إلى الإيمان باللّه تعالى واللجوء إليه.

بعد أن تحدثت الآيات عن افتراء بعض أهل الكتاب على اللّه تعالى وعلى عباده، وتكذيبهم لرسوله صلى اللّه عليه وسلم، وزعمهم أن اللّه عهد إليهم ألا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بآية هي قربان تأكله النار، ذكرت هنا ما في خلق السموات والأرض من آيات ودلالات واضحات لذوي العقول -وليس آية واحدة بسيطة-، ترشدهم إلى الإيمان باللّه تعالى.

وأيضًا، لما ذم اللّه تعالى البخلاء والمرائين، ذكر هنا العاملين الصادقين، وضمن لهم الأجر على أعمالهم. وكذلك، لما ذم اللّه تعالى علماء أهل الكتاب الذين نبذوه وراء ظهورهم، مدح هنا ذوي العقول من أهل الإيمان الذين آمنوا وتابوا، وعملوا وأنابوا.

قال الرازي: اعلم أن المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والأرواح عن الاشتغال بالخلق إلى الاستغراق في معرفة الحق، فلما طال الكلام في تقرير الأحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد إلى إنارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والإلهية والكبرياء والجلال فذكر هذه الآية

مناسبة هذا المقطع لمحور السورة:

يرتبط هذا المقطع بمحور السورة ارتباطًا وثيقًا، حيث أنه يرشد إلى التفكر في الخلق للوصول إلى الخالق سبحانه وتعالى، والقيام بحق العبادة والدعاء، والخوف والرجاء، والإيمان بيوم الجزاء، وما فيه من سعادة وشقاء، والتأكيد على بذل الجهد وتحمل الصعب في سبيل اللّه تعالى.

المقطع الثامن: أولو الألباب يستفيدون من الآيات الكونية [١٩٠-١٩٥]

قُرآنًا عَجَبًا

(191)	لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ سبحانه وتعالى في الآيةِ السَّابقةِ دَلائلَ الإلهيَّةِ والقُدرةِ والحِكمةِ، وهو ما يتَّصلُ بتقريرِ الرُّبوبيَّة، ذكَرَ بعدَها ما يتَّصل بالعبوديَّة. وأيضًا لَمَّا ذكَرَ اللَّهُ تعالى أنَّ الذين يَنتفعونَ بتلك الآياتِ هم أُولو الألبابِ، شرَعَ في وصْفِهم ، فقال: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ
(192)	لَمَّا سألوا ربَّهم أن يَقيَهم عذابَ النار، أتْبَعوا ذلك بما يدلُّ على عِظَمِ ذلك العقابِ وشِدَّته، وهو الخزيُ؛ ليكونَ موقعُ السؤالِ أعظمَ؛ لأنَّ مَن سأل ربَّه أن يَفعلَ شيئًا، أو ألَّا يَفعلَه، إذا شرَح عِظَمَ ذلك المطلوبِ وقوَّتَه، كانت داعيتُه في ذلك الدعاءِ أكْمَلَ، وإخلاصُه في طلبه أشدَّ، والدُّعاءُ لا يتَّصلُ بالإجابةِ إلَّا إذا كان مقرونًا بالإخلاصِ؛ فهذا تعليمٌ من اللهِ لعبادِه في كيفيَّة إيرادِ الدُّعاء *وأيضًا لَمَّا دعَوْا أنْ يَقيَهم اللَّهُ من النار، بيَّنوا سببَ دُعائِهم، وأنَّ سببَ ذلك هو أنَّ النارَ دارُ الخِزي ؛ لذا قالوا: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ
(193)	ثم ذكروا مبادرتهم إلى الإيمان بخلاف أهل الزيغ والضلال الذين مر ذكرهم
(194)	لما ذكروا توفيق اللّه إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوه الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به على ألسنة رسله من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز برضوان اللّه وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد.-السعدي-
195) (	لَمَّا حكَى اللَّهُ تعالى عنهم مواظبتَهم على الذِّكر، وهو قوله :الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا، وعلى التفكُّر، وهو قوله :وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثم حكَى عنهم أنَّهم أثْنَوا على اللَّهِ تعالى وهو قولُهم :رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ، ثمَّ حكَى عنهم أنَّهم بعدَ الثناءِ اشتغَلوا بالدُّعاء وهو من قولهم :فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ :إلى قوله :إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ -بيَّن في هذه الآيةِ أنَّه استجابَ دُعاءَهم ، فقال : فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ -المحرر-

١٩٠←(٥)←١٩٤

بعدَ أن ذكَرَ اللهُ أن له ملكَ السماواتِ والأرض دعا هنا أصحابَ العقولِ إلى التفكرِ في هذا الخَلْقِ العظيم، ثُمَّ شرَعَ في وصْفِهم وثنائِهم على الله ودعائِهم وما توسلُوا به.

لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

٧٥

١٨٧- ﴿فَنَبَذُوهُ﴾: طرحوه. ١٨٨- ﴿بِمَفَازَةٖ﴾: بنجاةٍ. ١٩٢- ﴿أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾: أهنته وأشقيته. ١٩٣- ﴿وَكَفِّرۡ﴾: استُر.

(١٨٧) ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ ابحث اليوم عن جاهلٍ بأحكامِ الوضوءِ والصلاة، أو قصارِ السُّورِ، وعلِّمه إيَّاها.

(١٨٨) ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ ...﴾ احذرْ أنْ يتسلَّلَ لقلبك حبُّ المدحِ والثناء، وأعظمُ منه أنْ تحبَّ المدحَ بما لمْ تفعلْ.

(١٩١-١٩٤) ادعُ بالأدعيةِ المذكورةِ رجاءَ أنْ يُستجابَ لك.

١٨٧: آل عمران [٨١]، ١٩٠: البقرة [١٦٤].

الجزء الرابع — سورة آل عمران ٣

١٩٥←(١)←١٩٥

بعدَ ذكرِ الدعاءِ أخبرَ هنا أنَّه استجابَ؛ فهو لا يُضيعُ عمَلَ عاملٍ سواءٌ كان ذكرًا أو أنثى، ومن هذا الهجرةُ والجهادُ.

فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾



الثبات الداخلي للفرد
من (121- 200)

المقطع الثامن: أولو الألباب يستفيدون من الآيات الكونية. (١٩٠-١٩٥)

المقطع التاسع: الأمور بخواتيمها وعواقبها.(١٩٦-٢٠٠)

- لما ذكر اللّه تعالى حسن عاقبة أهل الإيمان به يوم القيامة، انتقل إلى الإجابة عن سؤال مفترض أو متوقع من السامع يتعلق بالحال في الدنيا، فنبه إلى عدم الاغترار بحال الكفار في الدنيا، لأن متاع الدنيا قليل، وسيعاقبون بعده في دار البوار.
- ولما ذكر في المقطع قبل السابق أن بعض علماء أهل الكتاب خانوا العهد الذي عندهم، وكتموا الحق، ونبذوا الكتاب، واشتروا به ثمنًا قليلاً، ذكر هنا أن من أهل الكتاب من يؤمن باللّه وبما أنزل من الكتب، لا يشترون بآيات اللّه ثمنًا قليلاً. ولما ذكر هناك أن أهل الكتاب سيؤذون المسلمين بالقول والفعل، ذكر هنا الخاشعين منهم، الذين يخافون اللّه تعالى فلا يؤذون أحدًا.
- ولما ذكر قبل المقطع السابق الابتلاء الذي سيكون في أموال المسلمين وأنفسهم، والأذى الذي سيصلهم من أهل الكتاب، ذكر هنا أن تقلب الكفار في البلاد هو لفترة قصيرة، وأن عقابهم الحقيقي سيكون يوم القيامة، وكما أمرهم هناك بالصبر أمرهم هنا بالصبر، وزاد بالأمر بالمصابرة والمرابطة.
- وفي هذا المقطع إشارة إلى ختم الرسل والرسالات بخير الرسل والرسالات، واصطفاء هذه الأمة لتكون خير أمة، فالحمد للّه على هذه المنة، وتمام النعمة.

مناسبة المقطع لسابقه:

لما ذكر اللّه تعالى حسن عاقبة أهل الإيمان به يوم القيامة، انتقل إلى الإجابة عن سؤال مفترض أو متوقع من السامع يتعلق بالحال في الدنيا، فنبه إلى عدم الاغترار بحال الكفار في الدنيا، لأن متاع الدنيا قليل، وسيعاقبون بعده في دار البوار.

ولما ذكر في المقطع قبل السابق أن بعض علماء أهل الكتاب خانوا العهد الذي عندهم، وكتموا الحق، ونبذوا الكتاب، واشتروا به ثمنًا قليلاً، ذكر هنا أن من أهل الكتاب من يؤمن باللّه وبما أنزل من الكتب، لا يشترون بآيات اللّه ثمنًا قليلاً. ولما ذكر هناك أن أهل الكتاب سيؤذون المسلمين بالقول والفعل، ذكر هنا الخاشعين منهم، الذين يخافون اللّه تعالى فلا يؤذون أحدًا.

ولما ذكر قبل المقطع السابق الابتلاء الذي سيكون في أموال المسلمين وأنفسهم، والأذى الذي سيصلهم من أهل الكتاب، ذكر هنا أن تقلب الكفار في البلاد هو لفترة قصيرة، وأن عقابهم الحقيقي سيكون يوم القيامة، وكما أمرهم هناك بالصبر أمرهم هنا بالصبر، وزاد بالأمر بالمصابرة والمرابطة.

وفي هذا المقطع إشارة إلى ختم الرسل والرسالات بخير الرسل والرسالات، واصطفاء هذه الأمة لتكون خير أمة، فالحمد للّه على هذه المنة، وتمام النعمة.

مناسبة هذا المقطع لمحور السورة:

يرتبط هذا المقطع بمحور السورة ومقاصدها، حيث اشتمل على أمور غيبية في الدنيا والأخرى، والإيمان بمثل هذا مبني على الإيمان باللّه تعالى وحده لا شريك له.

فقد اشتمل المقطع على نصح وإرشاد، وحكم وأوامر، ووعد ووعيد، وبيان حقيقة الدنيا والأخرى، وعاقبة المتقين، ومصير الكافرين في يوم الدين، كما تحدثت الآيات عن المؤمنين من أهل الكتاب باللّه وحده وبكتبه ورسله، وأمرت المؤمنين بالصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى من أجل الفلاح في الدنيا والأخرى.

وهكذا يختتم المقطع والسورة بخاتمة قصيرة وخلاصة حكيمة، هي بيان عاقبة أهل الإيمان ومثواهم، وعقوبة أهل الطغيان ومأواهم، وإرشاد المؤمنين إلى سبيل فلاحهم في دنياهم وأخراهم. واللّه أعلم.

لَمَّا وعَد اللّهُ تعالى المؤمنين بالثَّوابِ العظيم، وكانوا في الدُّنيا في نهاية الفقر والشِّدَّة، والكفَّارُ كانوا في النِّعم، ذكَر اللّهُ تعالى في هذه الآيةِ ما يُسلِّيهم ويُصبِّرُهم على تلك الشِّدَّة ، فقال: لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196(-المحرر-	(196)
مَّا ذكَر اللّه سبحانه وتعالى الوعيدَ للذين كَفروا، أتْبَعَه بالوعدِ بالنُّزُل للذين آمنوا ، فقال: لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا	(198)
لَمَّا ذكَر اللّهُ تعالى حالَ المؤمنين- وكان قدْ ذكَر حالَ الكفَّارِ مِن قبلُ بأنَّ مَصيرَهم إلى النَّار- بيَّن في هذِه الآيةِ أنَّ مَن آمَنَ منهم كان داخلًا في صِفة الذين اتَّقَوا. وأيضًا لَمَّا حكَى اللّهُ تعالى بعضَ مخالفاتِ أهلِ الكتابِ، مِن نَبْذِ الميثاق وتَحريفِ الكتابِ وغيرِ ذلك، سِيقتْ هذه الآيةُ؛ لبيانِ أنَّ أهلَ الكتابِ ليس كلُّهم كمَن حُكيتْ مخالفاتُهم، بل منهم مَن له مَناقِبُ جليلةٌ، مثل: عبد اللّه بن سَلَام وأصحابه -المحرر-.	(199)
بعد أن بين تعالى حال الطائفة التي وُفقت للخير من أهل الكتاب وذكر ثوابهم، حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح	(200)

١٩٦←(٣)←١٩٨
لمَّا وعدَ المؤمنين بالثواب وكانوا في الفقرِ بينما الكفارُ في النِّعم، ذكرَ هنا ما يُسلِّيهم ويصبِّرُهم.

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

١٩٩←(٢)←٢٠٠
لمَّا ذكرَ في الصفحةِ السابقةِ أن بعضَ علماءِ أهلِ الكتابِ خانُوا العهدَ وكتمُوا الحقَّ ذكرَ هنا أن منهم مَنْ يؤمنُ باللهِ وبما أنزلَ من الكتبِ، ثُمَّ الأمرُ بالصَّبرِ.

سُورَةُ النِّسَاءِ — آياتها ١٧٦ — ترتيبها ٤

١٩٦- ﴿تَقَلُّبُ﴾: سعةُ عيشٍ، وكثرةُ تنقُّلٍ وتصرُّفٍ. ١٩٨- ﴿نُزُلًا﴾: ضيافةً، ومنزلًا. ٢٠٠- ﴿وَصَابِرُواْ﴾: غالبوا الأعداءَ بالصبرِ حتى تكونوا أكثرَ صبرًا منهم. ﴿وَرَابِطُواْ﴾: أقيموا على جهادِ عدوِّكم.

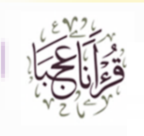
(١٩٥) ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ ... رَبَّنَآ إِنَّكَ ... رَبَّنَآ إِنَّنَا ... رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ ... رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أخوا حتى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾.

(١٩٩) ﴿لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ لا يكن همُّك من وراءِ حفظِ القرآنِ وتدبُّرِه والعملِ به الحصولُ على المكاسبِ الدنيويةِ.

١٩٧: النحل [١١٧]، ١٩٨: الزمر [٢٠]، ١٩٩: النساء [١٥٩].

- على العبد أن يلازمَ الصبر، ولا ينقطعَ عن مجاهدة نفسه عليه في جميع حالاته؛ فإنَّ الصبر محتاجٌ إلى صبر.
- ما أفلحَ عبدٌ إلا بالصبر والمصابرة، والجهاد والمرابطة، ولا خابَ إلا وكان إخلالُه بها أو ببعضها سببَ خَيبته.
- إذا كان أهلُ الباطل يَمضون في باطلهم بصبرٍ وإصرار، فما أجدرَ أهلَ الحقِّ أن يكونوا أعظمَ منهم صبرًا وإصرارًا.
- لا ينفع المؤمنَ الصبرُ ولا المصابرة ولا المرابطة إلا بالتقوى، كما أن التقوى لا تقوم إلا على ساق الصبر، فهي صفاتٌ يقوم بعضُها ببعض.

تطبيق مصحف التدبر



سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (٣)

مُقَدِّمَةُ السُّورَةِ، وَسَبَبُ النُّزُولِ

سورة آل عمران هي السورة الثالثة في ترتيب المصحف، والثامنة والأربعون في ترتيب النزول، سُميت بهذا الاسم لذكر قصة آل عمران فيها وهم: يحيى، وعيسى، ومريم.

وذكر الألوسي أنها تُسمَّى سورة الأمان والكنز والمجادلة، وسورة الاستغفار، ومن أسمائها الزهراء كما في حديث: «**اقرءوا الزهراوين**»، فهذه ستة أسماء.

وقد نزلت هذه السورة بالمدينة اتِّفاقًا سنة ثلاثٍ من الهجرة، بعد غزوة أُحد.

وهي مئتا آية باتفاق أهل العدد[١] وثلاثة آلاف وأربع مئة وثمانون كلمة، وأربعة عشر ألفا وخمس مئة وعشرون حرفًا.

وإذا كانت سورة البقرة في نصفها الأول قد خصَّت اليهود بالحديث عنهم، فإن سورة آل عمران تحدثت في نصفها الأول عن النصارى، وهم الشِّق الثاني من أهل الكتاب، والنصف الثاني من سورة آل عمران تحدث عن غزوة أُحد، من الآية الحادية والعشرين بعد المئة، وعلَّقت السورة على ما أصاب المسلمين فيها من جراحٍ، وما يتخللها من أحكام، إلى ما قبل ختام السورة بعشر آياتٍ، أي: نحو سبعين آية.

وهكذا فإن وسورة آل عمران نزل نصفُها الأول -وقدره أربع وثمانون آية- بمناسبة قدوم وفد نصارى نجران على رسول الله ﷺ سنة اثنتين من الهجرة؛ لمناظرته في شأن عيسى عليه السلام[٢] لمَّا بلغهم مبعث النبي ﷺ، ونزل بعد ذلك ست وثلاثون آية تعقيبًا على تلك

(١) ذكر العلامة الطاهر بن عاشور في تفسيره أن المصحف الشامي يعدها مئة وتسع وتسعون آية، ولم أجد ذلك في كتب هذا الفن (علم الفواصل)، ولمعرفة علم عدِّ الآى المتفق عليها والمختلف فيها ينظر: «بشير اليسر، ومعالم اليسر»، و«شرح ناظمة الزهر» للشاطبي وشرحها للشيخ عبد الفتاح القاضي، وله أيضا: «نفائس البيان شرح الفرائد الحسان»، وللشيخ أحمد البنا: «إتحاف فضلاء البشر» وغيرها.

(٢) يستبعِد (سيد قطب) -رحمه الله- أن تكون هذه الآيات نزلت في وفد نصارى نجران، سواء صحت الروايات أم لم تصح؛ لأن الوفد قدم على المدينة في السنة التاسعة من الهجرة، وجوُّ السورة يشير إلى نزولها في الفترة الأولى من الهجرة، وهو كلامٌ وجيهٌ، ولكنَّا لا نجد له سندًا وهو وهْمٌ منه رحمة الله عليه.
قلت: وقد قدم وفد نجران على النبي ﷺ في مكة حين بلغهم خبره بعثته ﷺ كما جاء في سبب نزول آية (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ) [القصص: ٥٢] وذكر المفسرون أن وفد نجران قدم إلى المدينة سنة اثنتين من الهجرة؛ فلا يلزم أن تكون هذه الحادثة عام الوفود.

القصة؛ ليعتبر أهل الكتاب.

قصة وفد نصارى نجران:

قَدِمَ هذا الوفد المكوَّن من ستين رجلًا فيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم، وثلاثة من أكابرهم: أميرهم (العاقب) ووزيرهم (السيد) وحَبْرهم (أبو حارثة) دخلوا مسجد رسول الله ﷺ في صلاة العصر، فلما حانت صلاتهم صلُّوا إلى جهة الشرق، فلما فرغوا تقدموا إلى رسول الله ﷺ يناظرونه في شأن عيسى عليه السلام، وهم يمثِّلون في حواراتهم ومُناظراتهم فرق النصارى ومذاهبهم المختلفة.

فقالت فرقة منهم للنبي ﷺ: إن عيسى هو الله، واستدلوا على ذلك بأنه: يُحيي الموتى، وأنه يُبرئ الأكمه والأبرص، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرًا، وأنه يعلِمُهم بشيء من الغيب مما يأكلونه ويدَّخِرونه في بيوتهم، وهذه الأمور من خصائص الألوهية.

والجواب على ذلك معروفٌ، فهذه الأشياء التي ذكروها أجراها الله ± على يدِ عيسى عليه السلام من باب المُعجزة الدالة على صدقه في رسالته؛ فإن معجزة كل رسول تكون من نوع ما نبغ فيه القوم.

فقوم موسى كانوا سحرة، فجاءهم موسى عليه السلام بمُعجزة خارقة للعادة من جنس السِّحر، لا يستطيع السَّحرة أن يفعلوها، وهي قلب العصا حيَّة، وما إلى ذلك.

وقوم محمد ﷺ كانوا أهل فصاحة وبلاغة، فكانت معجزة الرسول ﷺ مناسِبةً لحال القوم، مما نبغوا فيه من الفصاحة والبلاغة، وهي هذا القرآن الكريم، وأنه معجزةٌ قائمةٌ إلى يوم الساعة، وليست معجزةً كونيةً يراها الناس ثم تنصرف عنهم، ولكنها بين أيديهم إلى يوم القيامة.

وكانت معجزةُ عيسى عليه السلام من نوع ما نبغ فيه قومُه، فقد كانوا أطباء ماهرين، بلغ الطب ذروته في عهد عيسى عليه السلام، فأراد الله سبحانه أن يُجري على يدَيْ عيسى من المعجزات من نوع ما نبغ فيه القوم، ولكنها فوق مستوى البَشر؛ فمهما بلغ الطب من تقدُّم، فإنه لن يصل إلى معرفة إحياء الموتى، ولن يصل إلى معرفة شيء من علم الغيب. وكان عيسى عليه السلام ينبئهم -كما ذكر القرآن- بما يأكلون، وما يدَّخِرون في بيوتهم، فهذا الذي أجراه الله



على يديْ عيسى ﷺ هو معجزة له بإذن الله تعالى، وليس من صُنع عيسى ولا من قُدرته.

وقالت الفرقة الثانية التي تُمثِّل مذهبًا آخر من مذاهب النصارى: إن عيسى هو ابن الله، واستدلوا على ذلك بأنه قد وُلِد بغير أبٍ، وأنه قد تكلَّم في المهد، وهذا أمرٌ خاصٌّ بعيسى في زعمهم.

والجواب على ذلك: أن خلْق عيسى من غير أبٍ -كما ذكر الله سبحانه- آيةٌ من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى؛ كي تكتمل القِسْمَة العقلية، فالله سبحانه أراد أن يبيِّن لخلقه أن خلْقه للإنسان لا يتوقف على تلقيح الذكر للأنثى، فقد خلق الله آدم بغير أبٍ ولا أمٍ، وخلق حواء بغير أم، وخلق عيسى من غير أبٍ، وخلق الناس جميعًا من أبٍ وأمٍ. وهذا هو مقتضى القسمة العقلية، أربعة أصناف لا تخرج عنها الخليقة، فخلْق الله تعالى لعيسى من غير أب، آية دالة على قدرة الله سبحانه، وأنه لا يحتاج في خلْقه للإنسان إلى هذا التلقيح الذي يكون بين الرجل والمرأة، وإنما الله سبحانه قد يخلق الإنسان من غير أب، أو يخلقه من غير أم، أو يخلقه بأب وأم، أو يخلقه بدونهما، قال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾.

فليس عيسى ابن الله، حاشا لله عزّ وجل.

وأمّا كلامه عليه السلام في المهد فهذا لا يخص عيسى وحده، فقد بيَّن النبي ﷺ أن هناك ثلاثة تكلموا في المهد وهم صغار، وقيل أربعة: عيسى ﷺ، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة فرعون[1]. هؤلاء أربعةٌ تكلموا في المهد، فهذه حجةٌ لا تصلح؛ لأنها لا تخص عيسى وحده من بين البَشر.

وقالت الفرقة الثالثة: إن عيسى ثالث ثلاثة، أي: أن الإله عندهم مكوَّن من ثلاثة: الأب، والابن، والروح القدس. واستدلوا على ذلك بأن عيسى يقول: قلنا وفعلنا وخلقنا، وهذا يدل على جمع، ولو أنه واحد لقال: قلتُ وفعلتُ وخلقتُ وهكذا.

والجواب على ذلك معلومٌ، فالإنسان يُعظِّم نفسه، ويتحدث عنها ويقول: نحن فلان وهو شخصٌ واحدٌ، ويقول: قمنا بكذا، وشرحنا كذا، وفعلنا كذا... وهكذا- معبِّرًا عن

(١) ينظر أدلة ذلك في الآية (٤٦) من هذه السورة، وفي سورة مريم عند قوله تعالى (قال إني عبد الله...)

نفسه، ومعظِّمًا لها، يُعبِّر بهذا الضمير الذي يصلُح لأكثر من واحد عن نفسه، لا سيما الملوك وكبار القوم. وهذا تعبيرٌ سائغٌ في العربية، وليس هناك وجهٌ للاعتراض عليه.

ولما ذكر الوفد للنبي ﷺ؛ أن عيسى هو الله، أو أنه ابن الله، أو أنه ثالث ثلاثة:

١- قال ﷺ: «**ألستم تعلمون أن ربَّنا حيٌّ لا يموت، وأن عيسى يموت؟**» قالوا: بلى.

٢- قال ﷺ: «**ألستم تعلمون أن كل ولدٍ يُشبِه أباه**»، وأن عيسى ليس له أب يشبهه؟ قالوا: بلى.

وهكذا: فالله سبحانه ليس كمثله شيء، وهو واحدٌ أحدٌ، فردٌ صمدٌ، لا والد له ولا ولدٌ، فمن يشبهه؟! هل هو عيسى ﷺ؟!

٣- قال ﷺ: «**ألستم تعلمون أن ربَّنا قيِّمٌ على كل شيء يحفظه ويرزقه؟**» قالوا: بلى، قال: «**فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟**» قالوا: لا.

٤- قال لهم النبي ﷺ: «**ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء؟**» قالوا: بلى. قال: «**فهل يعلمُ عيسى من ذلك إلا ما علَّمه الله سُبحانه إياه وأخبره به؟!**» كما قال سبحانه في أمور الغيب: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] أي: فإنه يخبره ويُعْلِمه بشيء من الغيب، وفق مراد الله سبحانه.

٥- قال النبي ﷺ لوفد نصارى نجران: «**ألستم تعلمون أن الله تعالى قد صوَّر عيسى في الرحم كما يشاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب؟!**» قالوا: بلى[1].

والله سبحانه يصوِّر الخلق في أرحام الأمهات كيف يشاء، وعيسى قد صُوِّر كذلك في رحم أُمِّه.

٦- قال ﷺ: «**ألستم تعلمون أن عيسى حملتْه أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعتْه كما تضع المرأة ولدها، ثم غُذِّي كما يُغذَّى الصبيُّ، ثم كان يَطعَم ويشرب ويُحْدِث؟**» قالوا: بلى.

فعيسى قد حملته أمه بين أحشائها، ووضعتْه، وأرضعتْه، وغُذِّي كما يُغذَّى الصبية. وهو يأكل ويشرب، و يدخل الخلاء، فيبول ويتغوَّط، وليس هذا مناسبًا ولا جائزًا في حق الذات

(١) شرحتُ سبب النزول بالمعنى، وأضفتُ إليه ما يوضحه. ينظر النص عند ابن اسحاق (٢١٨/٢) وما بعدها، وابن جرير (١٠٨/٣) وما بعدها، وكتب التفسير.

العُليا جلَّ في عُلاه، وربُّنا سبحانه لا يأكل ولا يشرب، ولا يُحدِث ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة: ٧٥] أي: هو وأمه، ومعنى ذلك أنهما يدخلان الخلاء، ويتبوَّلان ويتغوَّطان كما يفعل البشر.

قال: فكيف يكون عيسى إلها كما زعمتم؟! فسكتوا.

أبى القوم إلا الجحود، وتداولوا أمرهم، وهم فيما بينهم معترفون بنبوة محمد ﷺ ورسالته، ولكن حب الرئاسة والكبرياء والجحود هو الذي يمنعهم من تصديق محمد ﷺ.

٧- قال ﷺ: «**ألا تُسْلِمُوا؟**» قالوا: قد أسلمنا قبلك.

٨- قال ﷺ: كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاثة أشياء:

أ- ادِّعاؤكم أن لله تعالى ولدًا، وهذا شرك أكبر بالله سبحانه.

ب- وعبادتكم للصليب. ج- وأكْلكم لحم الخنزير.

هذه ثلاثة تُكذِّب ادِّعاءكم أنكم قد أسلمتم، وكل واحدة منها تمنعكم من الإسلام.

ثم قالوا بعد حوارهم مع النبي ﷺ: نتركك على دينك، ونرجع إلى ديننا، ولكن ابعث معنا رجلًا من أصحابك أمينًا نحكِّمه فيما بيننا، ويقوم بالقضاء فيما اختلفنا فيه.

فقال النبي ﷺ: «**ائتوا في العشية أُرسل معكم رجلًا من أصحابي**». وفي المساء اجتمع أصحاب النبي ﷺ للصلاة، وأخذ كل واحد منهم يستشرف ويتطلع أن يكون هو الذي يرسله النبي ﷺ مع القوم، حتى إن عمر -رضوان الله عليه- يقول: ما أحببت الإمارة قط كما أحببتها يومئذ؛ رجاء أن أكون صاحبها، فجعلْتُ أتطاول بعد الصلاة -وهو في المسجد، أي: يَمُدُّ عنُقه لأعلى؛ كي يراه النبي ﷺ فيؤمِّره على القوم- فلما سلَّم الرسول ﷺ أخذ ينظر يمْنةً ويسْرةً ثم وجد أبا عبيدة بن الجراح، فقال له: قم يا أبا عبيدة، وأمَره أن يذهب معهم، ثم قال لهم: «**هذا هو أمين هذه الأمة**».

ولمَّا قال وفد نصارى نجران للنبي ﷺ في نهاية الحوار عن عيسى: إذا لم يكن هو ابن الله، فمن أبوه؟ فصمت النبي ﷺ بعض الوقت: فأنزل الله سبحانه أربعًا وثمانين آية من صدر سورة آل عمران، تبيِّن شأن عيسى ﷺ، وتردُّ عليهم بأنه إن كانت منازعتكم معشر



النصارى في معرفة الإله فهو الله الذي لا اله إلا هو الحيُّ القيُّوم، فكيف تُثْبتون له ولدًا؟! فبيَّن تعالى أنه لا يستحق العبادة أحدٌ سواه؛ لأنه الواحد الأحد، ليس له شريك ولا ولد، وهو الدائم الباقي الذي لا يموت، المتَّصِف بالحياة الكاملة، القائم على كل شيء، ومنها تدبير شؤون الخلق ومصالحهم.

مَوْضُوعَاتُ السُّورَةِ

يمكن تقسيم سورة آل عمران إلى ثلاثة موضوعات:

الموضوع الأول عن نصارى نجران:

وذلك من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ الآية الرابعة والثمانون، وهذه الآيات تتناول قصة وفد نصارى نجران الذي قَدِمَ على النبي ﷺ بالمدينة بعد معرفتهم برسالته؛ ليسألوه عن عيسى ﷺ، وهو القسم الأول من القصة.

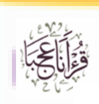
يلي هذه الآيات ست وثلاثون آية تُعَقِّب على هذه القصة، وهو القسم الثاني المتعلق بها.

وقد قدَّمت السورة في أولها لهذه القصة بآيات فيها إثباتٌ لوحدانية الله تعالى، وإثباتٌ لصدق صاحب الرسالة الأخيرة وكتابه، وفيها ردٌّ على الشبهات التي يُثيرها أهل الكتاب عن الإسلام، وتحذيرٌ لهم من الانصراف إلى غيره، ومن اتِّباع شهواتهم وملذَّاتهم. والإسلام يعرِض دعوته عليهم، ويقرِّر أن الدِّين عند الله هو الإسلام، فمن استجاب له فقد فاز ونجا، وآخيناه وعاونَّاه، ومن أعرض عنه تصدَّينا له معتمدين على الله.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾.

وتُبيِّن آيات السورة في هذه المقدمة أن أهل الكتاب لما كانوا عاجزين تمام العجز عن الارتقاء إلى مستوى الوحي الإلهي، فقستْ قلوبهم، وساءت أخلاقهم، وتشبَّعوا من الدنيا، وردُّوا على الله أمره ونهيه، وأشركوا معه غيره، وتطاولوا عليه بما لا يليق بجلاله.

لهذا وغيره كان لا بد من صرف الوحي عنهم إلى جنس آخر من البشر؛ خير منهم حالًا ومآلًا، فكان أن تحولت منهم النبوة إلى العرب، فأثار هذا حقْدهم وحسدهم وكُفْرهم



وعنادهم، ولم يتأمل القوم قول الله تعالى في مقدمة الحديث عن وفد النصارى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)﴾.

وهذه الآيات سبقتْها مقدِّمات وحيثيَّات الحكم في آيات قبلها:

منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)﴾.

والكلام وإن كان تقريعًا لأهل الكتاب، إلا أن العِبْرة موجَّهة إلى الذين شرَّفهم الله تعالى بأن بدأت رسالة الإسلام منهم، حتى لا يتجرَّدوا عن إسلامهم، أو ينسلِخوا من العمل بتعاليمه، فتكون عاقبتهم كعاقبة الذين مسخهم الله قردة وخنازير؛ فالناس سواسية، وسُنَّة الله في خلقه لا تتخلَّف.

وتمضي الآيات في ذكر آل عمران حيث ينحدر منهم عيسى، ومن ثَمَّ إلى حوار النصارى، حتى مباهلتهم.

القسم الثاني من الحديث عن وفد نصارى نجران:

يبدأ من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾ إلى نهاية الآية العشرين بعد المئة؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ وهو ستٌّ وثلاثون آية، تُعقِّب على حوار أهل الكتاب، فتُعَنِّفهُم على عدم إيمانهم بخاتم الأنبياء، وتحذِّرهم من سوء المصير، وتردُّ على شبهاتهم.

وفي هذا السياق تأتي هذه النداءات السبع إلى أهل الكتاب من اليهود:

١- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)﴾

٢- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [٩٨].

٣- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ﴾ [٩٩].

٤- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [٦٤].

٥- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ﴾ [٦٥].

٦- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠)﴾

٧- ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)﴾

وفي الردِّ على هذه النداءات السبع يقول تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦)﴾

وفي هذا المقطع من السورة ردٌّ على الشُّبُهات التي يثيرها أهل الكتاب، فقد قالوا: كيف نتْبعُ دينًا يستبيح الأطعمة المحرمة علينا ونحن نبتعد عنها ولا نأكلها؟ فأجابهم الله تعالى بأن حظْر هذه الأطعمة عليهم كان موقوتًا وطارئًا، فقد كانت الأطعمة كلها حِلًّا لبني إسرائيل، فلما فَسقُوا واستمْرأُوا العدوان، عاقبهم الله بذلك ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦] ولما نزل القرآن عاد بالتشريع إلى أصله فلم يحرِّم إلا الميتة والخنزير وما أهل لغير الله به والدم المسفوح.

وفيما يتعلق بشُبهتهم حول تحويل القِبْلَة فإن البيت الحرام هو القبلة الأولى والأخيرة للناس كافة، وقد كان التحول لبيت المقدس لظروف عارضة، وقد زالت العوارض ورجعت المياه إلى مجاريها، واستُؤنف التكريم للبيت العتيق ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦)﴾.

الموضوع الثاني عن غزوة أحد:

وبعد هذا التعقيب على أهل الكتاب يأتي العنصر الثاني في السورة وهو الحديث عن غزوة أُحد، من الآية الحادية والعشرين بعد المئة، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)﴾ إلى الآية التاسعة والثمانين بعد المئة، أي: في تسع وستين آية.

وفي ثنايا الحديث عن غزوة أحد يأتي الحديث عن الرِّبا في إشارة إلى أن الأموال المحرمة إذا دخلت في التصنيع الحربي أو في شراء الأسلحة، فإن ذلك يكون سببا في الهزيمة، ولذا جاءت الدعوة في ثنايا الآيات إلى الإنفاق في السراء والضَّراء، ومن ذلك الجهاد في سبيل الله فإن الجهاد بالمال قرين الجهاد بالنفس ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] وجاء الأمر بالإسراع إلى التوبة بعد مقارفة الذنب، لأننا إذا استوينا مع العدو في ارتكاب المعاصي تفوَّق علينا بقوة السلاح، وبعد ذلك يواصل الحديث عن نتائج المعركة.

والقرآنُ بهذا يشير إلى أن سبيل النصر على العدوِّ هو إصلاح الجبهة الداخلية أوَّلًا، وتطهيرها من كل محرَّم كالربا والخمر والزنى، والتحلي بمكارم الأخلاق ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فإن هذا من الانتصار على النفس، ولن ينتصر العبد على عدوه إلا إذا انتصر على نفسه، ولذا قال أحد الصحابة حين رجع من الغزو في سبيل الله (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الاكبر) فسمّي جهاد النفس جهادًا أكبر، وجهاد العدو جهادٌ أصغر، لأن جهاد العدو لابد له من جهاد النفس أوّلًا، ولابد من بذل النفس والنفيس لإعداد العُدَّة والأخذ بوسائل النصر المادية والمعنوية، وبهذا تكون الأمة أهلًا للانتصار، فإن هذا الانتصار ليس انتصار الأشخاص، إنما هو انتصار المبادئ السامية والمسالك القويمة.

والخصومات الشخصية -بين الأفراد أو الشعوب والأمم، أو بين بعض الحكام - ليس لها مجالٌ في الحروب، فإن مصلحة العباد والبلاد أكبر من ذلك، ولأن خصوم الأمس قد يكونون أصدقاء الغد إذا اصطلحوا مع الله ورسوله، وزالت أسباب العداوة، ولذا عاتب الله نبيه لمّا دعا على بعض خصومه بقوله:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ .

وهزيمة أُحد لم تكن من سُوء التخطيط، بل كانت من التَّفريط في إنفاذ أوامر القيادة، حين خالف الرماة أمر نبيهم وتركوا مواقعهم، بسبب حبِّ الدنيا والتطلع إليها، والرغبة في جميع الغنائم من بطن الوادي، ظنا منهم أن النصر قد تم للمؤمنين، والله تعالى قادرٌ في كل وقت أن يهزم الباطل ويُخزي أهله ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

وقد ربط الله الأسباب بالمسببات وربط النتائج بالمقدمات في مثل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]

وبعد ذكر نتائج المعركة، أخذت الآيات تُداوي الجراح، وتشدُّ العزائم، وتُعيد للمؤمنين تماسكهم.

فقد كان هناك رجالٌ رَكلُوا الدنيا بنعالهم، ومضوْا إلى ما عند الله، لا يلْوُون على شيء.

وهناك رجالٌ ثبتوا إلى آخر رمق.

وهناك نساء انطلقْن إلى المعركة بقلوب ملؤها البطولة والفداء، وهناك من رُزق الشهادة، وهناك، وهناك.

منهم: **عبد الله بن حرام**، كان له غلامٌ واحدٌ هو جابر، وست بنات، فلم تَطِب نفسُه حتى خرج إلى المعركة تاركًا بناته الست وراءه، ورُزق الشهادة.

وأنس بن النضر وُجد به ثمانون، ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، لم تعْرفه إلا أخته، عرفتْه من أطراف بنانه.

وفي ثنايا التعقيب على غزوة أحد، يُلْفت القرآن نظر أتباعه إلى جُرْأة اليهود على ربهم في قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ وإلى قول الله تعالى عنهم: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١] لقد سمع الله قولهم وسجله عليهم، وعلم فعلهم، وسوف يجازيهم على ذلك عذاب الحريق، فتأتي النار على أجسادهم وجوارحهم، وفي هذا عبرة وعظة، لأن ترك مثل هذه الجرائم، يكون سببا في النصر على العدو.

وينقطع الحديث عن غزوة أُحد ليتصل بأهل الكتاب مرة أخرى ليُعرِّفنا طبيعتهم ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [١٨٦].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران].

وفي السورة خلال آياتها يُوجِّه الله تبارك وتعالى **سبع نداءات للمؤمنين** تُولي فيها هذه الآيات اهتمامًا بالغًا بالعناية بتربية المؤمنين تربيةً صالحةً عالية المستوى يعرفون من خلالها طبيعة عدوهم حتى يأخذوا حذرهم، ويبتعدوا عن كبائر الذنوب، ويمتثلوا أمر ربهم ويجتنبوا نهيه، ويصبروا عند اللقاء، ويصابروا عدوهم، ويلزموا الحدود والثغور، حتى يتحقق لهم النصر على عدوِّهم، ويكونوا من أهل السعادة في الدنيا والآخرة.

وهذه **النداءات السبع** هي قوله تعالى:

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾.

٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [١١٨].

٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [١٥٦].

٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ .

٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران].

الموضوع الثالث في السورة عن دلائل وحدانية الخالق سبحانه:

والآيات العشر الأواخر من السورة تنتقل بالإنسان من ذكريات الماضي بحلْوه ومرِّه، فتُلفت نظره إلى هذا العالم الذي يعيش فيه، ويرى خيْراته ونعمه ودلالاته على وحدة الصانع سبحانه، فكأن هذه الآيات تقول للإنسان: اترك الخلاف بين الشرائع واطْرحه الآن جانبًا، وأعْمِل عقلك الذي ستُحاسب به، وفكِّر في مصيرك بعد هذه الدنيا، لماذا تنسى ربك؟! لماذا تبتعد عن صراطه المستقيم؟! أكثر من التسبيح والتحميد والثناء على الله سبحانه، يجب أن تلوذَ بجناب الله تعالى وتلجأ إلى حماه في كل وقت وحين.

لقد جاء محمد ﷺ وأخذ يصيح بأهل الأرض: أن تُوبُوا إلى رُشْدكم وآمنوا بربكم، أفلا يستحق هذا الداعي أن نتدبَّر دعوته ونستجيب لها؟ ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣] إن الله تعالى يجيب هذا الدعاء، ولا يُضيعُ عمل عامل من ذكر أو أنثى، لكن العُميان من عبدة الأصنام والمتعصِّبين من أهل الكتاب تألَّبُوا على رسول الله وقاتلوه، وأخرجوه من بلده، فلْيكُن جزاؤهم من جنس ما فعلوا ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران].

ودعت آيات السورة في نهايتها أهل الكتاب أن يؤمنوا بالنبي الخاتم، وأثْنتْ على من آمن منهم بمحمد ﷺ.

وأمر الله سبحانه المؤمنين في الختام بأربعة أوامر، هي مصدر السعادة في الدنيا والآخرة، وتحقيق العزة والكرامة بالنصر على أعداء الله، الذين يجحدون وحدانية الله تعالى، ويكفرون بخاتم رسله، وهذه الوصايا الأربع هي: الصبر والمصابرة والمرابطة وتقوى الله، ورتَّب الله على ذلك الفوز والفلاح في الدارين، فهل من مُجيب؟

فَضْلُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ مَعَ سُورَةِ البَقَرَة:

١- في صحيح مسلم وغيره عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزهراويْن: البقرة وآل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فِرْقان من طير صواف، تُحاجَّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإنَّ أَخْذَهَا بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة**»[1].

قال معاوية -أحد رواة الحديث-: بلغني أن البطلة السحرة، والغياية السحابة والمَظَلَّة، وفِرْقان يعني: قطعتان.

٢- وعن ابن بريدة عن أبيه مرفوعًا: «**تعلَّمو البقرة وآل عمران، فإنهما الزهراوان، يُظلّان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فِرْقان من طير صواف**»[2].

٣- ومن ذلك حديث النواس بن سمعان وغيره سبق ذكره في أول سورة البقرة.

(١) «صحيح مسلم» برقم (٨٠٤) وابن حبان (١١٦) والطبراني في «الكبير» (٧٥٤٢، ٨١١٨) والحاكم (١/ ٥٦٤) والبيهقي في «السنن» (٢/ ٣٩٥). وجاء مثله عن النواس بن سمعان في مسلم (٨٠٥) والترمذي (٢٨٨٣) وأحمد برقم (١٧٦٣٧، ٢٢١٤٦).

(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٦٦) حسن صحيح.